الفصل العاشر

رواد التنوير والإصلاح العرب والمسلمون

مصطلح التنوير يشير إلى نشوء حركة ثقافية تاريخية دعيت بالتنوير، والتي قامت بالدفاع عن العقلانية ومبادئها كوسائل لتأسيس النظام الشرعي للأخلاق والمعرفة مع الدين، ومن هنا نجد أن تلك الفترات الإنساني في جميع مناحي الحياة.التنويرية، وخصوصًا الحديثة كانت متعلقة بتطبيق العلمانية، وكان رواد هذه الحركة كانوا يعتبرون مهمتهم قيادة العالم إلى التطور والتحديث، ومحاولة التوفيق بين التقاليد الدينية والثقافة القديمة من ناحية، والعلوم والتكنولوجيا وحقوق الإنسان ومناهج التطوير والتحديث الإنسانى فى جميع مناحى الحياة وقد أجاب «إيمانويل كانت» عن سؤال: ما هو التنوير؟ بقوله: «إنه خروج الإنسان عن مرحلة القصور العقلى وبلوغة سن النضج أو سن الرشد». كما عرف القصور العقلى أنه «التبعية للآخرين وعدم القدرة على التفكير الشخصى أو السلوك فى الحياة، أو اتخاذ أى قرار بدون استشارة الشخصى الوصى علينا». ومن هذا المنظور جاءت صرخة التنويرية لتقول: «أعملوا عقولكم أيها البشر لتكن لكم الجرأة على استخدام عقولكم! فلا تتواكلوا بعد اليوم ولا تستسلموا للكسل والمقدور والمكتوب. تحركوا وانشطوا وانخرطوا فى الحياة بشكل إيجابى متطور؛ فالله زودكم بعقول وينبغى أن تستخدموها.» لكن «كانت» لم يفهم التنوير نقيضًا للإيمان أو للاعتقاد الدينى؛ وإنما شدد على أن «حدود العقل تبتدئ حدود الإيمان» كما حذر من الطاعة العمياء للقادة أو لرجال الدين، كما حدث فى العديد من الدول والحضارات التى انهارت بفعل تفشى تلك الظاهرة من غياب العقل. إن تطورات محاولات الإصلاح والتنوير والحداثة فى التاريخ العربى والإسلامى، قد مرت بثلاث موجات؛ الأولى كانت فى العصر الذهبى للحضارة الإسلامية فى عصر الخلافة العباسية ممثلة فى فلاسفة وعلماء إسلاميين، وعرب عظام أمثال ابن حزم؛ الكندى؛ الفارابى؛ ابن سينا؛ ابن طفيل؛ أبى بكر الرازى؛ إخوان الصفا؛ ابن رشد؛ الإمام الغزالى؛ ابن خلدون؛ ثم جاءت بعد ذلك الموجة الثانية أو المرحلة

الوسطية، والتى كانت نشأتها فى القرن التاسع عشر إلى نهاية النصف الأول من القرن العشرين؛ وكان يتبنى خطاب الإصلاح والحداثة مفكرون عظام أمثال: رفاعة الطهطاوى؛ جمال الدين الأفغانى، أمين الخولى، أحمد لطفي السيد، قاسم أمين، طه حسين، عبد الرحمن الكواكبي، العقاد، جبران خليل جبران، مصطفى عبد الرازق، هدى شعراوي، بينما تجيء الموجة الثالثة، وهو ما يسمى بجيل الحداثة الثالث ابتداء من عقدي الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي إلى العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ويمثلهم: نصر حامد أبوزيد، نجيب محفوظ، محمد عابد الجابري، فرج فودة، جابر عصفور، زكي نجيب محمود، محمد أركون، فؤاد زكريا.

هؤلاء المفكرون والمحدثون العرب العظام، والذين حاولوا أن يحملوا شعلة التنوير والإصلاح في الفكر والعقل العربي يجدر بنا أن نقتدي بهم، وأن نخطو خطاهم بل ونستكمل مسيرتهم ومهمتهم في محاولة حثيثة لتحديث وتطوير ونهضة أمتنا؛ ولهذا الغرض، سوف أختم كتابي هذا بنبذة عن معظم هؤلاء الفلاسفة والعلماء والمفكرين العظام عسى أن نزيد وعي القارئ بهم، ولعل شبابنا العربي، شباب ثورة الياسمين بتونس، وشباب ٢٥ يناير بمصر، هذا الشباب الثائر الراغب في تغيير أمته أن ينظر لهؤلاء الأعلام العظام، وأن يقتدي بهم في مسيرته نحو تحديث وتطوير عالمنا العربي والإسلامي نحو نهضة شاملة، نهضة فكرية وعقلية واجتماعية ودينية واقتصادية، نهضة تضعنا مرة أخرى في مصاف أعظم الأمم كما كنا في يوم من الأيام.

رواد الإصلاح والتنوير العرب:

(أ) رواد المرحلة الإسلامية الأولى:

١ ـ ابن خلدون: (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ/ ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م)

ولى الدين عبد الرحمن محمد بن خلدون، ولد بتونس وتوفى بالقاهرة، وتقلب في مناصب عدة، وارتحل كثيرًا، ودوَّن أفكاره في سبع مجلدات، كتبها فى نحو ثلاث سنوات، عن تاريخ العرب والبربر بعنوان «كتاب العبر» اشتهر منها المجلد الأول المعروف باسم «المقدمة» أو مقدمة ابن خلدون والمجلدان الأخيران باعتبارهما أحسن مصادر تاريخ المغرب العربى، وخاصة البربر ويعتبر الكاتب الغربى الكبير «أرنولد توينى» «مقدمة» «ابن خلدون أعظم إبداع فكرى على الإطلاق، واعتبر ابن خلدون أسبق فى تفكيره على ميكافيللى وفيكو ومنتسكيو وهيجل وداروين وسبنسر وماركس وتوينى.

وينتسب ابن خلدون بأسلوبه ومنهجه إلى العصر الحديث أكثر من انتسابه إلى العصور

الوسطى ويتزايد الإهتمام به حاليًا حتى ترجمت «المقدمة» إلى اللغات اللاتينية والألمانية واليابانية والإيطالية والإنجليزية والفرنسية واليابانية. وكان المؤرخون المسلمون قبل ابن خلدون يتبعون منهجًا فى إثبات الوقائع التاريخية يعتمد على سرد الوقائع عن رواتها وتفصيل رواية الثقات من الرواة على غيرهم متجاهلين معنى الحدث، وهو المعنى الذى يستحق التريث عنده وتأمله فى محاولة لاكتشاف حقيقة وتفسير أسبابه، لكن ابن خلدون اعتبر التاريخ علم كيفية وقوع الأحداث وأسبابها وربط بين التاريخ وبين الفلسفة، وبل وجعله فرعًا من الفلسفة يعتمد على العقل، وجعل منهجه يقوم على التعليل التاريخى ويربط الأسباب بمسبباتها، ومن ثم يمكن عن طريقة التنبؤ بالأحداث المستقبلة والإحاطة بظروف الماضى وتصديقها أو تكذيبها. وأطلق ابن خلدون على علم التاريخ بمفهومه ذاك «علم العمران» أو «علم الحضارة» وقال إنه واضع هذا العلم.

والحضارة عند ابن خلدون هى بداية ونهاية التطور الاجتماعى والتنظيم السياسى والإنسان اجتماعى بطبعه، وتنهض المجتمعات بتعاون الإنسان مع الآخرين، بهدف إشباع حاجاته الطبيعية والحضارات «أطوار وأحوال» أبسطها البداوة، حيث يسعى الناس وراء الطعام الضرورى وأوسطها المدنية حيث ترتقى حاجاتهم اقتصاديًا وفكريًا وروحيًا وأرقاها الدولة التى تستهدف خير الجماعة كلها وأمنها والدين أقوى عوامل التأليف بين الجماعة. وتقوم الزعامة والسلطة على العصبية ويؤدى التنظيم السياسى الجيد للدولة إلى قوتها ورخائها. ولا تزدهر العلوم والفنون إلا فى الدولة، لكن الترف والانغماس فى الشهوات يضيعان قوة الأمم الحربية واستمساكها بدينها وبعصبيتها فتصاب الدولة بالانهيار والحضارة بالتحلل وللمجتمعات كالأفراد دورة حياة، فهى تولد وتستمر وتتحلل؛ ولكن الحضارات تعيش أطول من الدول؛ لأن ما يحصله الأفراد والمجتمعات من ثقافة تعيش فى ضمائرهم وعقولهم؛ ويمكن الحضارات من الاستمرار بعد انهيار الدول. ويتحدث ابن خلدون فى نظريته عن المناخ وأشكال المجتمعات والقوى الاقتصادية فيها؛ والعلاقة بين العمل والقيمة؛ والأسس السيمولوجية والاجتماعية والاقتصادية للسلطة؛ وأشكال الدولة والعلاقة بين الدولة والدين ودور التربية فى المجتمع والاعتماد المتبادل للرخاء والثقافة.

٢ ـ ابن رشد «أبو الوليد» : (١١٢٦ ـ ١١٩٨)

محمد بن أحمد بن رشد؛ أشهر فلاسفة الإسلام العقلانيين؛ والتنويريين؛ وكان ومايزال أبعد الإسلاميين أثرًا فى الفكر الأوروبى المسيحى واليهودى. وُلد فى قرطبة بالأندلس؛ وتوفى

فى المغرب؛ واشتغل بالقضاء؛ وعرف في أوروبا باسم Averoes؛ وأطلقوا عليه اسم (الشارح Commentataor) لشروحه على كتب أرسطو؛ وكانت عادة تشتمل على ثلاثة شروح؛ وهى المختصر والمتوسط والمطول؛ لتناسب فيما يبدو أعمار الدارسين؛ وتتمشى مع تدرجهم فى فهم أرسطو؛ وتمتاز بتعليقاته عليها؛ وإيراده لشروح من سبقوه، واشتهر فهمه لأرسطو باسم «الراشدية ـ averrois»؛ فبعد وفاة ابن رشد؛ وابتداء من عام ١٢٠٠م؛ بدأت ترجمته من العربية التى اصطدمت مع تعليم الكنيسة؛ فقد كان أرسطو يعتقد بقدم العالم؛ وفناء النفس؛ وإمكان تحقيق الكمال فى الدنيا؛ وشايعه ابن رشد؛ وكانت تعليقاته أوفى الشروح فعلًا لأرسطو؛ وتتميز عن شروح الإسكندر الإفروديسى؛ وسمبيلقوس؛ وغيرهم ممن تصدوالهذا العمل من القدامى. وقيل عن مفهوم ابن رشد بأنه المفهوم العربى؛ ثم اقتصروا على تسميته بالمفهوم الرشدى أو «الرشدية». وكان أول من سمى نفسه رشديًا؛ أو اعترف بمشايعته لتفسير ابن رشد «يوحنا جاندون «(المتوفى سنه ١٣٢٨م)؛ و«إيريان البولونى» (المتوفى ١٣٣٤)؛ و«بولس الفينيسى» (المتوفى ١٤٢٩). وكانت الرشدية تهمة يطلقها خصومها على مدرسى أرسطو بطريقة ابن رشد فى القرن الثالث عشر، وكان من المتهمين بها فى جامعة باريس «سيجر البارابتى؛ وبويثيوسى من داسيا؛ وبيراينير من ثقيل) وانتقل تأثيرها من جامعة باريس إلى جامعة بولونيا وباوا ابتداء من القرن الرابع عشر حتى منتصف القرن السابع عشر حتى منتصف القرن السابع عشر.

* ابن رشد وعصره

كانت قرطبة من أعظم المدن بالأندلس، وإليها ينسب جماعة كبيرة من أهل العلم، وقد اتفق جمهرة المؤرخين على أنها كانت مركز العلماء في الدولة الإسلامية، وقد دونت كتب التاريخ تلك المناظرة التي جرت في حضرة ملك المغرب المنصور يعقوب، بين الفليسوف الفقيه أبي الوليد ابن رشد والرئيس أبي بكر بن زهر عن قرطبة وعن أهميتها كمدينة للعلم. فقد كانت أكثر بلاد الله كتبًا، وكانت منتهى الغاية ومركز الرأي ووطن أولي العلم.

وقد عنى الأمير الحكم المستنصر بالله بالعلوم، وبعث في طلب الكتب من ديار المشرق كبغداد ومصر، وكان من نتيجة ذلك أن تحرك الناس في أيامه إلى العناية بعلوم الأوائل وتعلم مذاهبهم، كما كان مولعًا بتشجيع العلماء.

* نشأة ابن رشد وبيئته العقلية

كان جد ابن رشد وهو محمد بن رشد المالكى قاضيًا للجماعة بقرطبة؛ كما كان فقيهًا عالمًا مقدمًا جميع أهل عصره؛ عارفًا بالفتوى على مذهب مالك وأصحابة. وكان كذلك أبوه. ولم

يأخذ ابن رشد الفقه عن أبيه بل أخذه عن علماء كبار آخرين مثل ابن بشكوال وأبي مروان بن مسرة وابن سمحون والمازري.

وإذا كان ابن رشد قد تعمق فى دراسة الفقه، وأخذ عن أكثر من معلم، فقد أداه هذا إلى وضع كتابه القيم «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» فى الفقه وقد أعطى فيه أسباب الخلاف وأصبح بذلك أحد كبار علماء عصره فى الفقه والخلاف. وقد تولى ابن رشد وظيفة القضاء فى مختلف بلاد الأندلس، فوصل بذلك إلى أرفع المناصب وهو منصب القاضى، شأنه فى ذلك شأن أبيه وجده، ثم تولى منصب قاضى القضاة فى أيام الخليفة يوسف بن عبد المؤمن.

من الأمور التى كان لها تأثير كبير فى مجرى حياة «ابن رشد» اتصاله بالخليفة «أبى يعقوب يوسف أبى محمد عبد المؤمن» صاحب المغرب. وكان هذا الخليفة يجمع بين التفقه فى الدين والورع والتقوى من ناحية وطموحه إلى تعلم الحكمة والفلسفة من ناحية أخرى، وكان أبو يعقوب هذا يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب ويبحث عن العلماء وخاصة أهل علم النظر، أما كتب الفلسفة فقد عمل على جمعها حتى اجتمع منها له قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الأموى.

* فلسفته وإنجازاته

يرى ابن رشد أن لا تعارض بين الدين والفلسفة، وكان هناك بالتأكيد طرق أخرى يمكن من خلالها الوصول لنفس الحقيقة المنشودة، ويقول بأن الروح منقسمة إلى قسمين اثنين: **القسم الأول**: شخصى يتعلق بالشخص **والقسم الثانى**: فيه من الإلهية ما فيه، وبما أن الروح الشخصية قابلة للفناء، فإن كل الناس على مستوى واحد يتقاسمون هذه الروح وروح إلهية متشابهة.

كما كان مغرمًا بعلوم الفلك، وقام بالكثير من الاكتشافات والملاحظات الفلكية الجديدة وأعطى نماذج جديدة تعطى تفسيرات فضلى لحقيقة الكون، كما انطلق فى آرائه الأخلاقية من مذهبى أرسطو وأفلاطون، وقد كان لدوره فى نظريات الأخلاق عاملًا مهمًّا فى تطور الفكر المتحرر فى أوربا فى العصرين الوسيط والحديث. وقد قال بعض الباحثين: «لقد تساءل الفيلسوف ابن رشد فى القرن الثانى عشر الميلادى وهو يعاين انطفاء آخر أنوار الحضارة العربية التى سمت فى الشرق الأوسط وأسبانيا إلى ذرا شاهقة عمل إذا لم يكن هذا الانحطاط يرجع جزئيًا على الأقل إلى الوضع الذى حبست فيه المرأة وإلى انتباذها خارج الحياة الاجتماعية.

مؤلفاته: لقد كان للفيلسوف ابن رشد ما يقرب منها ٥٨ مؤلفًا بنصها الغربى مثل:

تلخيص وشرح كتاب ما بعد الطبيعة (الميتافيزيقا)، تلخيص وشرح كتاب البرهان، تلخيص كتاب المقولات، شرح كتاب النفس، شرح كتاب القياس، كتاب مناهج الأدلة، كتاب فصل المقال، كتاب تهافت التهافت، كتاب الكليات، إلخ.....

لقد كتب جورج سارتون أبو تاريخ العلوم عن ابن رشد ما يلى: «ترجع عظمة ابن رشد إلى الضجة الهائلة التى أحدثها فى عقول الرجال لعدة قرون. وقد يصل تاريخ الرشدية إلى نهاية القرن السادس عشر الميلادى، وهى فترة من أربعة قرون، حيث تستحق أن يطلق عليها العصور الوسطى، حيث إنها كانت تعد بمثابة مرحلة انتقالية حقيقية بين الأساليب القديمة والحديثة». وقد كانت أعمال ابن رشد الفلسفية أقل تأثيرًا على العالم الإسلامى فى العصور الوسطى منها على العالم المسيحى اللاتينى وقتها، كما يدل على ذلك حقيقة أن الأصل العربى لكثير من أعماله لم يعش، بينما ظلت الترجمات اللاتينية والعبرية موجودة، ومع ذلك فإن أعماله وعلى وجه التحديد موضوعات الفقه الإسلامى والتى لم تترجم إلى اللاتينية أثرت بالطبع فى العالم الإسلامى بدلًا من الغرب. وقد تزامنت وفاته مع وجود تغيير فى ثقافة الأندلس، والترجمات العبرية لأعماله كان لها تأثير لا ينسى على الفلسفة اليهودية، وخاصة الفيلسوف اليهودى «جوسونيدس» الذى كتب شروحًا فرعية على العديد من أعمال ابن رشد وقد اعتقد بعض الفلاسفة مثل توماالأكوينى أن ابن رشد بلغ مكانة من الأهمية لدرجة أنهم لم يكونوا يشيرون له باسمه بل يدعونه «المعلق» أو «الشارح»، وكانوا يطلقون على أرسطو «الفيلسوف» وتأثرًا بفلسفات ابن رشد؛ فقد أسس الفيلسوف الإيطالى بيترو بمبوناتسى مدرسة عرفت باسم «المدرسة الأرسطية الرشدية» ومن ناحية أخرى كان العديد من اللاهوتيين المسيحيين يخشون فلسفته حتى أنهم اتهموه بالدعوة إلى «الحقيقة المزدوجة» ورفضه المذاهب التقليدية التى تؤمن بالخلود الفردى وبدأت تنشأ أقاويل وأساطير واصفة إياه بالكفر والإلحاد فى نهاية المطاف، واستندت هذه الاتهامات إلى حد كبير على التأويل الخاطئ لأعماله.

وكانعكاس للاحترام الذى كان يكنه العلماء الأوربيون لابن رشد فى العصور الوسطى فقد ورد اسمه فى الكوميديا الإلهية لدانتى فى حسم الجحيم (الأنشودة الرابعة: ١٤٢) مع الفلاسفة العظماء الذين ماتوا قبل المسيحية، أو الذين لم يعمدوا بحسب وصف دانتى. واستلهامًا لهذا البيت من الأنشودة فقد جسدها المصور الإيطالي رافاييل في لوحته «مدرسة أثينا» ومصورًا بها ابن رشد وهو يرتدي العمامة العربية، وينظر منتبهًا من خلف العالم الرياضي اليوناني فيثاغورث، حتى أنه في العصر الحديث، تم تسمية كويكب باسم «ابن رشد ٨٣١٨» من قبل هيئة ناسا الفضائية تيمنًا باسم الفليسوف العربي.

٣ ـ العلّامة يعقوب بن إسحاق الكندي

هو أبو يوسف بن إسحاق الكندي (١٨٥هـ/ ٨٠٥م ـ ٢٥٦هـ/ ٨٧٣م)،علَّامة عربي مسلم، برع في الفلك والفلسفة والكيمياء والفيزياء والطب والرياضيات والموسيقى وعلم النفس والمنطق الذي كان يعرف بعلم الكلام، والمعروف عند الغرب باسم (Alkindus)، ويُعد الكندي أول الفلاسفة المتجولين المسلمين، كما اشتهر بجهوده في تعريف العرب والمسلمين بالفلسفة اليونانية القديمة والهلينستية. كان لاطلاعه على ما كان يسميه آنذاك «بالعلوم القديمة» أعظم الأثر في فكره، حيث مكنه من كتابة أطروحات أصلية في الأخلاقيات وما وراء الطبيعة والرياضيات والصيدلة.

وفي الرياضيات، لعب الكندي دورًا مهمًّا في إدخال الأرقام الهندية إلى العالم الإسلامي والمسيحي، كما كان رائدًا في استخدام خبرته الرياضية والطبية، كما وضع مقياسًا يسمح للأطباء قياس فاعلية الدواء، كما أجرى تجارب حول العلاج بالموسيقى. كان الشاغل الذي شغل الكندي في أعماله الفلسفية؛ هو إيجاد التوافق بين الفلسفة والعلوم الإسلامية الأخرى؛ وخاصة العلوم الدينية. تناول الكندى فى الكثير من أعماله مسائل فلسفية دينية، مثل طبيعة الله والروح والوحى. لكن على الرغم من الدور المهم الذى قام به فى جعل الفلسفة فى متناول المثقفين المسلمين آنذاك؛ إلا أن أعماله لم تعد ذات أهمية بعد ظهور علماء مثل الفارابي بعده بعدة قرون، ولم يبق سوى عدد قليل جدًّا من أعماله للعلماءالمعاصرين لدراستها، ومع ذلك لا يزال الكندي يُعد من أعظم الفلاسفة ذوى الأصل العربي لما لعبه من دور في زمانه؛ لهذا يلقب بـ «أبو الفلسفة العربية» «أو فيلسوف العرب».

وُلد أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي في الكوفة في بيت من بيوت شيوخ قبيلة كندة. كان والده واليًا على الكوفة، حيث تلقى علومه الأولية؛ ثم انتقل إلى بغداد؛حيث حظي بعناية الخليفتين المأمون والمعتصم؛ حيث عينه المأمون مشرفًا على بيت الحكمة ـ الذى كان قد أنشىء حديثًا لترجمة النصوص العلمية والفلسفية اليونانية القديمة ـ فى بغداد. عندما خلف المعتصم أخيه المأمون؛ عينه المعتصم مربيًا لأبنائه. ولكن مع تولى الواثق والمتوكل؛ أفل نجم الكندى فى بيت الحكمة. هناك عدة نظريات لتفسير سبب حدوث ذلك؛ فقد رجح البعض أن ذلك بسبب التنافس فى بيت الحكمة؛ والبعض قال إن السبب تشدد المتوكل فى الدين؛ حتى أن الكندى تعرض للضرب؛ وصودرت مؤلفاته لفتره. فقد قال «هنرى كوربيه» الباحث فى الدراسات الإسلامية ـ إن الكندى توفى فى بغداد وحيدًا عام ٢٥٦هجرى/ ٨٧٣م فى عهد الخليفة المعتمد.

بعد وفاته؛ اندثر الكثير من أعمال الكندى الفلسفية؛ وفقد الكثير منها يشير «فيليكس كلايين فرانكه» إلى وجود عدة أسباب لذلك؛ فبصرف النظر عن تشدد المتوكل الدينى؛ فقد دمر المغول عددًا لا يحصى من الكتب؛ عند اجتياحهم بغداد. إضافة الى سبب أكثر احتمالًا وهو أن كتاباته لم تلق قبولًا بين أشهر الفلاسفة اللاحقين كالفارابى وابن سينا.

مؤلفاته:

وفقًا لابن نديم؛ كتب الكندى على الأقل مائتين وستين كتابًا؛ منها اثنان وثلاثون فى الهندسة؛ واثنان وعشرون فى كل من الفلسفة والطب؛ وتسع كتب فى المنطق؛ واثنا عشر كتابًا فى الفيزياء. وعلى الرغم من أن الكثير من مؤلفاته فقدت؛ فقد كان للكندى تأثير فى مجال الفيزياء والرياضيات والطب والفلسفة والموسيقى استمر لعدة قرون؛ عن طريق الترجمات اللاتينية التى ترجمها جيرارد الكريمونى؛ وبعض المخطوطات العربية الأخرى؛ أهمها الأربع وعشرون مخطوطة من أعماله المحفوظه فى مكتبة تركية منذ منتصف القرن العشرين.

ومن مؤلفاته:

- الفلسفة الأولى فيما دون الطبيعيات والتوحيد.
- كتاب الحث على تعلم الفلسفة.
- رسالة فى علل الأوضاع النجومية.
- رسالة فى علل أحداث الجو.
- رسالة فى الطب البقراطى.
- رسالة فى وجع المعدة والنقرس.

جهوده الفكرية والتنويرية:

كان جهد الكندى الأكبر فى تطوير الفلسفة الإسلامية؛ هو محاولته لتقريب الفكر الفلسفي اليوناني؛ وجعله مقبولًا عند جمهور المسلمين؛ من خلال عمله فى بيت الحكمة فى بغداد، ومن خلال ترجمته للعديد من النصوص الفلسفية المهمة؛ أدخل الكندى الكثير من المفردات الفلسفية إلى اللغة العربية قطعًا؛ لولا أعمال الكندى الفلسفية؛ لما تمكن الفلاسفة مثل الفارابى وابن سينا والغزالى من التوصل إلى ما توصلوا إليه. فى كتاباته؛ كان واحدًا من الاهتمامات التى

شغلت الكندى هو التوافق بين الفلسفة واللاهوت الطبيعى من جهة؛ وعلم الكلام من جهة أخرى. وعلى الرغم من ذلك؛ فقد قال الكندى إنه يعتقد أن الوحى هو مصدر المعرفة للعقل؛ لأن مسائل الإيمان المسلم بها لا يمكن استيعابها. كان النهج الكندى الفلسفى بدائيًّا؛ واعتبره المفكرون فى وقت لاحق غير مقنع ـ ربما لأنه كان الفيلسوف الأول الذى يكتب بالعربية؛ إلا إنه دخل بنجاح الفكر الأرسطى والأفلاطونى المحدث إلى الفكر الإسلامى الفلسفى؛ فكان ذلك عاملًا مهمًا فى إدخال تعميم الفلسفة اليونانية إلى الفكر الفلسفى الإسلامى. تعرض الكندى للانتقاد لاعتباره «العقل جوهرا التقرب لله.كما خالف أيضًا المعتزلة في حكمهم حول الصغائر. وقد مهدت مسائل الكندي الفلسفية للجدل الكبير بين الفلاسفة ورجال الدين، التي تعرض لها الغزالي بالكامل في كتابه تهافت الفلاسفة.

٤ ـ ابن سينا: (Avesine)

ابن سينا هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، عالم وطبيب مسلم من بخارى، اشتهر بالطب والفلسفة، ولد في قرية أفشنة بالقرب من بخارى (في أوزبكستان حاليًا) سنة ٣٧٠هـ (١٩٨٠م) وتوفى في مدينة همران (في إيران حاليًا) سنة ٤٢٧هـ (١٠٣٧م)، عرف باسم الشيخ الرئيس، وسماه الغربيون بأمير الأطباء وأبي الطب الحديث. وقد ألف ٢٠٠ كتاب في مجالات مختلفة، العديد منها يركز على الفلسفة والطب. ويعد ابن سينا من أول من كتب عن الطب في العالم، ولقد اتبع نهج أو أسلوب أبقراط وجالينوس. وأشهر أعماله كتاب «القانون في الطب» وكتاب «كتاب الشفاء». بدأ نبوغ ابن سينا منذ صغره، إذ يحكي أنه قام وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة بعلاج السلطان نوح بن منصور الساماني، وكانت هذه هى الفرصة الذهبية التي سمحت لابن سينا التحاقه ببلاط السلطان، ووضعت مكتبته الخاصة تحت تصرف ابن سينا.

فكره الفلسفي:

يعتبر الفكر الفلسفي لابن سينا امتدادًا لفكر الفارابي، وقد أخذ عن الفارابي فلسفته الطبيعية وفلسفته الإلهية، أي تصوره للموجودات وتصوره للوجود، وأخذ منه على الأخص نظرية الصدور وطور نظرية النفس وهو أكثر ما عنى به.

يدعي مخالفوه أنه كان يقول بنفس المبادئ التي يدعون أن الفارابي من قبله نادى بأن العالم قديم أزلي وغير مخلوق، وأن الله يعلم الكليات لا الجزيئات، ونفى أن الأجسام تقوم مع الأرواح في يوم القيامة.

قاوم أفكاره هذه الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال، وأكد نفس المعلومات ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية»، وأكد ابن عمار في «شذرات الذهب» أن كتابه «الشفاء» اشتمل على فلسفة لا ينشرح لها قلب متدين. أما ابن تيمية أكد أنه كان من الإسماعيلية؛ عمومًا فإن أهمية ابن سينا الفلسفية تكمن في نظرية في النفس وأفكاره في فلسفة النفس.

٥ ـ أبو حامد الغزالي

أبو حامد الغزالي، هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الشافعي الأشعري الملقب بحجة الإسلام وزين الدين (٤٥٠ هـ ـ ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ ـ ١١١١م)، مجدد القرن الخامس الهجرى؛ أحد أهم أعلام عصره وأحد أشهر علماء الدين السنة فى التاريخ الإسلامى. نشأ الغزالى فى بيت فقير من عائلة خراسانية من أصل عربى؛ فقد كان والده رجلا زاهدًا ومتصوفًا لا يملك غير حرفته، لكن كانت لديه رغبة شديدة فى تعليم ولديه محمد وأحمد؛ وحينما حضرته الوفاة عهد إلى صديق له متصوف برعاية ولديه وأعطاه ما لديه من مال يسير وأوصاه بتعليمهما. ابتدأ طلبه للعلم فى صباه؛ فأخذ الفقه في طوس، ثم قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين الجويني في نيسابور فأخذ عنه جملة من العلوم في الفقه وأصوله وعلم الكلام والمنطق، وفي هذه الفترة ألف الغزالي كتابه «المنخول» وعرضه على شيخه الجويني، فأعجب به قائلًا: «دفنتني وأنا حي! هلا صبرت حتى أموت». واجتهد الغزالي في طلب العلم حتى تخرج في مدة قريبة وصار أفضل أهل زمانة وأحد أقرانه.

اتسم منهج الإمام الغزالي بشيء من الوسطية ووقف بآرائه ضد العصبية الدينية والأفكار التكفيرية، حيث أرجع ابتعاد الناس عن طريق الحق والتدين متمثلًا في طريقة الدعوة التي تبناها أشخاص قاموا بإخراج الدين عن منهج الفطرة الذي اتسم به منذ بداية الدعوة، فكانت من حكمة شهيرة له في كتابه «إحياء علوم الدين» قوله: «إن انتشار الكفر في العالم يحمل نصف أوزاره متدينون بغَّضوا الله إلى خلقه بسوء صنيعهم وسوء كلامهم» كانت تختصر هذه الحكمة منهجًا قد ساد في زمن الإمام الغزالي تمثل بتشويه أفراد متعصبين دينيًا كالذين نراهم للأسف اليوم يملأون مجتمعنا صراخًا بدعوات التكفير الظالمة، وكان هؤلاء المتعصبون في زمن لإمام الغزالي يتعصبون لأسس الدعوة الإسلامية أو أسس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى بغضهم الناس وبغضوا ما اقترن فيهم من تدين، أي أنهم بغضوا الدين لأجل هؤلاء الأفراد.

ـ نظرياته وكتبه

يُعد أبو حامد الغزالي من كبار المفكرين المجددين المسلمين، ومن كبار المفكرين بمجال علم الأخلاق والتربية بخاصة، وقد استفاد الغزالي من تجربته العميقة معتمدًا على الشريعة الإسلامية في بناء منهجية متكاملة في تربية النفس الإنسانية، كما بين الطرق العملية لتربية الأبناء وإصلاح الأخلاق الذميمة، وتخليص الإنسان منها، فكان بذلك مفكرًا ومربيًا ومصلحًا اجتماعيًّا في آن.

ألَّف الإمام الغزالي خلال مدة حياته (٥٥ عامًا) الكثير من الكتب في مختلف صفوف العلم، حتى أنه قيل إن تصانيفه لو وزعت على أيام عمره أصاب كل يوم كتاب، حيث بلغت ٤٥٧ مصنفًا ما بين كتاب ورسالة، منها: تهافت الفلاسفة، الاقتصاد في الاعتقاد، فضائح الباطنية، المستصفى في علم أصول الفقه، الوسيط في فقه الإمام الشافعي، المنقذ من الضلال، إلى آخر هذه القائمة الطويلة من المؤلفات العظيمة التي تركها لنا الإمام أبو حامد الغزالي.

٦ـ ابن باجه

أبوبكر محمد بن يحيى بن الصائغ بن باجه، أبرز الفلاسفة العرب في الفلسفة والطب والرياضيات والفلك والأدب والموسيقى، ويعرف عند العرب باسمه باللاتينية (أفيمبس Avempace). (٤٨٧هـ، ٥٣٣هـ) نشأ ابن باجه في سرقطة وعمل وزيرًا وكاتبًا، بقى بن باجه وزيرًا للمرابطين لمدة عشرين سنة على الأقل حتى مات. تشير عدة مصادر إلى أنه قتل مسمومًا في مدينة فاس المغربية، ورغم موقف المرابطين المتشدد من العلماء أمثال ابن باجه إلا أنه عين قاضيًا على مراكش.

ألَّف ابن باجه ثمانية وعشرين مؤلفًا تقع في ثلاث فئات مختلفة: شروح أرسطو طاليس، تآليف شرقية ومصنفات طبية. كان لكتاباته أثر عظيم على ابن رشد، ولفلسفة ابن باجه قيمتان أساسيتان، أولاهما أنه بنى الفلسفة العقلية على أسس الرياضيات والطبيعيات، فنزع عن الفلسفة الإسلامية سيطرة الجدل، وخلع عليها لباس العلم. وثانيهما أنه أول فيلسوف في الإسلام فصل بين الدين والفلسفة في البحث، وانصرف إلى العقل، ولهذا اتهم بالإلحاد والخروج عن تعاليم الدين، وقد لام أبو حامد الغزالي لميله إلى التصوف، وقال مقولته الشهيرة: «إن الإنسان يستطيع بلوغ السعادةعن طريق العلم والتفكير، لا بإماتة الحواس وتجسيم الخيال،

كما يفعل المتصوفون، وقد رأى أن الغزالي خدع نفسه، وخدع الناس حين قال في كتابه «المنقذ من الضلال» إنه بالخلوة ينكشف العالم للإنسان».

وللأسف ضاعت جميع أصول كتبه العربية، ولم ينتقل إلينا منها إلا ما ترجم في حينه إلى اللاتينية، وما نقله من جاء بعده من الفلاسفة كابن رشد وابن ميمون، وأشهر هذه المترجمات (تدبير التوحيد) الذي تخيل فيه مدينة لا يشغل أهلها غير (تدبير) واحد أو غاية واحدة طريقها العقل فتتحقق لها ولهم السعادة. ويقسم ابن باجه غايات الإنسان إلى جسدية وروحانية وعقلية وهذه الأخيرة هي أرقاها. ولابن باجه أيضًا (رسالة وداع) التي أهداها لأحد أصحابه وهو على أهبة سفر طويل خشي ألا يراه بعده، ورسالة (الاتصال) و(كتاب النفس)، وكتاب (الكون والفساد)، وكتاب (رسالة الوداع)، (رسائل ابن باجه الإلهية).

عمد ابن باجه إلى العودة بالفلسفة إلى أصولها الأرسطية خالصة كما هي في كتب أرسطو مبتعدًا عن أفكار العرفان والأفلاطونية المحدثة، فكان بذلك أحد أفراد تيار تجديدي أندلسي حاول فصل الأفكار العرفانية التي اختلطت كثيرًا بالفكر الإسلامي والذي بدأ بمشروع ابن حزم الذي عمد إلى تأسيس منهج العودة إلى الأصول واستبعاد القياس في الفقه، واستأنف بعد ابن باجه بابن رشد الذي عمد إلى فصل نظام البيان الفقهي عن نظام البرهان الفلسفي بمصطلح آخر فصل الدين عن الفلسفة كأنظمة استنتاجية وربطهما عن طريق الغايات والأهداف.

٧ ـ علي بن حزم الأندلسي

علي بن حزم الأندلسي (٣٨٤هـ/ ٩٩٤م ـ ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، أكبر علماء الإسلام تصنيفًا وتأليفًا بعد الطبري، وهو إمام حافظ، فقيه ظاهري، ومجدد القول به، بل محيي المذهب بعد زواله في الشرق، ومتكلم، أديب، وشاعر، وناقد محلل، بل وصفه البعض بالفيلسوف، وزير سياسي لبني أمية، سلك طريق نبذ التقليد وتحرير الاتباع. يُعد من أكبر علماء الأندلس، قام عليه جماعة من المالكية وشرد عن وطنه. تُوفي في منزله في أرض أبويه في مدينة مونتيخار الأسبانية (الأندلسية في زمنه).

كان ابن حزم قد خرج من وسط أسرة عرفت الإسلام منذ جده الأعلى يزيد بن أبي سفيان، وكان خلف أول من دخل الأندلسي من أسرته في صحبة الأمير عبد الرحمن الداخل، وكان مقامه في مدينة «لبلة»، ومن ذلك نعرف أن مقر هذه الأسرة كانت الشام بعد مشاركة يزيد أصل هذه الأسرة في الفتوحات الإسلامية بها، ولما خرج عبد الرحمن إلى الأندلس، خرج معه خلف بن معدان، وهناك مصادر تؤكد أنه من أصل أسباني.

كان ابن حزم مجتهدًا مطلقًا، وإمامًا حافظًا، كان شافعي الفقه، فانتقل منه إلى الظاهرية، فوافق العقيدة السلفية في بعض الأمور من توحيد الأسماء والصفات وخالفهم فى أخرى، وكل ذلك كان باجتهاده الخاص، وله ردود كثيرة على الشيعة واليهود والنصاري وعلى الصوفية والخوارج.

أصَّل ابن حزم ما يعرف عادة بالمذهب الظاهري، وهو مذهب يرفض القياس الفقهي الذي يعتمده الفقه الإسلامي التقليدي، وينادى بوجود دليل شرعي واضح من القرآن أو من السنة لتثبيت حكم ما، لكن هذه النظرة الاختزالية لا توفي ابن حزم حقه، فالكثير من الباحثين يشيرون إلى أنه كان صاحب مشروع كامل لإعادة تأسيس الفكر الإسلامي من فقه وأصول فقه.

يقول عنه الفيلسوف العربي المعاصر «محمد عابد الجابري»: إن ابن حزم يُعد ركنًا أساسيًّا في مشروع النهضة العربية الذي أسسه الجابري والذي لم يتم. إن رؤية ابن حزم الفلسفية التجديدية تجعله ركنًا أساسيًّا في أية قراءة للتراث العربي الإسلامي، رغم أن مدرسته الفقهية رفضت أشد الرفض من قبل المدرسة الإسلامية التقليدية التي اعتمدت المذاهب الأربعة وأغلقت الباب أمام أي تعديل أو اجتهاد. وقد كان ابن حزم من رواد النقد الإسلامي لليهودية والنصرانية.

ـ مؤلفاته:

هو أكبر علماء الإسلام تصنيفًا وتأليفًا بعد الطبري، ألَّف ابن حزم في الأدب كتاب (طوق الحمامة)، وألَّف في الفقه وفي أصوله، وشرح منطق أرسطو، وأعاد صياغة الكثير من المفاهيم الفلسفية، وربما يعتبر أول من قال بالمذهب الأسمى في الفلسفة الذي يلغي مقولة الكليات الأرسطية (الكليات هى أحد الأسباب الرئيسية للكثير من الجدالات بين المتكلمين والفلاسفة في الحضارة الإسلامية، وهى أحد أسباب الشقاق حول طبيعة الخالق وصفاته). ذكر ابنه أبو رافع الفضل أن مبلغ تأليف أبي محمد هذا في الفقه والحديث والأصول والتاريخ والأدب وغير ذلك بلغ نحو أربعمائة مجلد تشتمل على ثمانية ألف ورقة.وهذه قائمة بعض كتبه:

ـ الفصل في الملل والأهواء والنِّحل.

ـ المحلى شرح المجالس.

ـ طوق الحمامة.

- الإملاء في شرح الموطأ.
- الخصال لمجمل شرائع الإسلام.
- التقريب لحد المنطق بالألفاظ العامية.
- ملخص إيصال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل.
- الرد على من اعترض على الفصل.
- التصفح في الفقه.
- مختصر في علل الحديث.
- النبذ في أصول الفقه الظاهري.
- جوامع السيرة.
- رسالة في القراءات المشهورة في الأمصار.

- إحراق كتبه ووفاته:

يرتبط بمصنفات ابن حزم بحادثة خطيرة طالما تكررت بالأندلس، كلما ضاق أهلها بأحد ممن يخالفهم من العلماء، وهى إحراق كتبه علانية بإشبيلية، بيد أنها لم تفقد من جراء ذلك، فقد كان له جماعة من تلاميذه النجباء الذين قدروا فكره وحافظوا على كتبه التي كانوا يمتلكونها بنسخها ونشرها بين الناس. ويمكن أن نرجع أسباب هذه الحادثة في الآتي:-

أولًا:- ثقة ابن حزم بنفسه عند منازلة كبار فقهاء المالكية، وعدم تردده في تنمية آرائهم طالما خالفت ما يراه حقًا.

ثانيًا:- تنديده بولاية خلف الحصري للخلافة بإشبيلية عام ٣٢٥هـ/ ١٠٣٣ م.

ثالثًا:- معارضة فقهاء المالكية له وسعيهم لدى السلطان للإيقاع به وإثارة العامة ضده، ومن ثمَّ التقت أغراضهم مع ما كان يرمي إليه المعتضد، فكانت واقعة إحراق كتبه على مسمع ومرأى من الناس.

رابعًا:- نزعة ابن حزم الأموية ودعوته لإعادة حكم الأمويين في الوقت الذي قطع فيه معظم ملوك الطوائف كل صلة بالدولة الأموية الأندلسية، وحاول كل واحد منهم أن يحقق استقلالًا سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا، وبالرغم من هذه المؤامرة التي ألمت بابن حزم

فلم يحقق للمعتضد ما كان يصبو إليه من كسر كبريائه وإذلاله، بل ظل الرجل يشمخ بمكانته وعلمه وعقله هنا وهناك دون ضعف ولا ذلة، لكنه آثر السلامة وغادر إشبيلية إلى قريته، وظل يمارس التصنيف والتدريس حتى وافته المنية عشية يوم الأحد ٢٨ شعبان ٤٥٦هـ/ ١٥ يوليو ١٠٦٣م.

٨ ـ أبو بكر الرازي

هو أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا الرازي عالم وطبيب فارسي (٢٥٠هـ/ ٨٦٤ م ـ ٣١١هـ/ ٩٢٣م).

وهو أحد أعظم أطباء الإنسانية على الإطلاق، كما وضعته الكاتبة الغربية «زجريد هونكه» في كتابها (شمس الله تسطع على الغرب) حيث ألَّف كتاب «الحاوي في الطب» كان يضم كل المعارف الطبية منذ أيام الإغريق حتى عام ٩٢٥م وظل المرجع الطبي الرئيسي في أوروبا لمدة ٤٠٠ عام بعد ذلك التاريخ.

درس الرياضيات والطب والفلسفة والفلك والكمياء والمنطق والأدب، اشتهر الرازى وجاب البلاد وعمل رئيسًا لمستشفى، وله الكثير من الرسائل فى شتى مجالات الأمراض وكتب فى كل فروع الطب والمعرفة فى ذلك العصر؛ وقد ترجم بعضها إلى اللاتينية لتستمر المراجع الرئيسية فى الطب وكتاب «الأدوية المفردة؛ الذى يتضمن الوصف الدقيق لتشريع أعضاء الجسم، هو أول من ابتكر خيوط الجراحة؛ وصنع المراهم، وله مؤلفات فى الصيدلة أسهمت فى تقدم علم العقاقير؛ وله ٢٠٠ كتاب ومقال فى مختلف جوانب العلوم. يتضح لنا تواضع الرازى وتقشفه فى مجرى حياته من كلماته فى كتاب «السيرة الفلسفية» حيث يقول: «ولا ظهر منى على شره فى جمع المال وسرف فيه ولا على منازعات الناس ومخاصمتهم وظلمهم؛ بل المعلوم منى ضد ذلك كله والتجافى عن كثير من حقوقى، وأما حالتى فى مطعمى ومشربى ولهوى؛ فقد يعلم من يكثر مشاهدة ذلك منى أنى لم أتعد إلى طرف الإفراط، وكذلك فى سائر أحوالى مما يشاهده هذا من ملبس). وفى الفصل الأول من كتابه «الطب الروحانى»؛ فى فضل العقل ومدحه؛ يؤكد الرازى أن العقل هو المرجع الأعلى الذى نرجع إليه؛ ولا نجعله؛ وهو الحاكم؛ محكومًا عليه؛ ولا هو الزمام؛ مزمومًا ولا هو المتبوع تابعًا؛ بل نرجع فى الأمور إليه، ونعتبرها به ونعتمد فيها عليه. «كان الرازى مؤمنًا باستمرار التقدم فى البحوث الطبية؛ ولا يتم ذلك على حد قوله؛ إلا بدراسة كتب الأوائل؛ فيذكر فى كتابه «المنصورى فى الطب» ما هذا نصه يلحق

فيها كثير شيء ولو أفنى جميع عمره فيها لأن مقدارها أطول من مقدار عمر الإنسان بكثير، وليست هذه الصناعة فقط بل جل الصناعات كذلك، يزيد عدد كتب الرازى على المائتي كتاب فى الطب والفلسفة والكيمياء وفروع المعرفة الأخرى. ويتراوح حجمها بين الموسوعات الضخمة والمقالات القصيرة. تمت ترجمة كتب الرازى إلى اللغات الأوروبية الحديثة ودرست فى الجامعات الأوروبية؛ لا سيما فى هولندا، حيث كانت كتب الرازى من المراجع الرئيسية فى جامعات هولندا، كتب الرازى أيضًا فى مجال الأديان التى انتقدها؛ وقد خصص عبد الرحمن بدوى الفصل الأخير من كتابه (من تاريخ الإلحاد فى الإسلام) لآراء الرازى الفلسفية فى نقد الأديان. إلا أن الرازى لم يذكر وجود الله بل أقر بوجوده؛وقال بأنه منح العقل للإنسان ليفكر به. وقد تم انتقاد آرائه الجريئة فى نقد الدين من طرف العديد من العلماء والمفكرين من بينهم ابن سينا الذى يعتبر عند البعض فيلسوفًا مسلمًا بينما اعتبره رجال الدين المسلمين كافرًا كأبى حامد الغزالى وابن تيمية، ومن مؤلفاته: كتاب «الشكوك على جالينوس»؛ «كتاب فى العنصر والحجام»؛ ومخارق الأنبياء؛ وحيل المتنبيين.

(ب) رواد مرحلة التنوير والإصلاح الثانية فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين:

١ ـ جمال الدين الأفغانى

محمد جمال الدين بن السيد الحسينى الأفغانى (١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م)؛ أحد الأعلام البارزين فى النهضة المصرية، ومن أعلام الفكر الإسلامي بالنسبة للتجديد، ولد جمال الدين عام ١٨٣٩م/ ١٢٥٤هـ، في أسر آباء إحدى مدن الأفغان، يرتقي نسبه إلى عمر بن على زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تربى دينيًا ليكون مسلمًا صوفيًا، ولكن عرف كونه من المسلمين الأصوليين، متوافقًا مع الأفكار السائدة التي تقف حاجزًا أمام سلطة الفكرة والشخص أمام الجماهير المنحازة للعاطفة الدينية.

تعلم اللغة العربية والأفغانية، وتلقى علوم الدين والتاريخ، والمنطق، والفلسفة والرياضيات، فاستوفي حظًه من هذه العلوم، على أيدي أساتذة من أهل تلك البلاد، واستكمل الغاية من دروسه وهو بعد في الثامنة عشرة من عمره، ثم سافر إلى الهند، وأقام بها سنة وبضعة أشهر يدرس العلوم الحديثة على الطريقة الأوروبية وتعلم اللغة الإنجليزية. فنضج فكره؛ واتسعت مداركه. كان بطبعه ميالًا للرحلات؛ واستطلاع أحوال الأمم والجماعات؛ فعرض له وهو فى الهند أن يؤدى فريضة الحج؛ فاغتنم هذه الفرصة وقضى سنة يتنقل فى البلاد؛ ويتعرف أحوالها؛ وعادات أهلها؛ حتى وافى مكة المكرمة فى سنة ١٨٥٧م ـ ١٢٧٣هـ؛ وأدى الفريضة.

جاء السيد جمال الدين إلى مصر سنة ١٢٨٨هـ ـ مارس ١٨٧١م؛ لا على نية الإقامة بها؛ بل على قصد مشاهدة مناظرها؛ واستطلاع أحوالها؛ ولكن رياض باشا وزير الخديو إسماعيل فى ذلك الحين رغب إليه البقاء فى مصر؛ وأجرت عليه الحكومة راتبًا مقداره ألف قرش كل شهر؛ لا فى مقابل عمل؛ واهتدى إليه كثير من الطلبة الباحثين عن العلم والمعرفة؛ يقتبسون منه الحكمة؛ فقرأ لهم الكتب العالية فى فنون الكلام؛ والحكمة النظرية؛ من طبيعية وعقلية؛ وعلوم الفلك والتصوف؛ وأصول الفقه بأسلوب طريف؛ وطريقة مبتكرة.

وكانت مدرسته بيته؛ ولم يذهب يومًا إلى الأزهر مدرسًا؛ وإنما ذهب إليه زائرًا. كان أسلوبه فى التدريس مخاطبة العقل؛ وفتح أذهان تلاميذه ومريديه إلى البحث والتفكير؛ وبث روح الحكمة والفلسفة فى نفوسهم؛ وتوجيه أذهانهم إلى الأدب؛ والإنشاء؛ والخطابة؛ وكتابة المقالات الأدبية والاجتماعية والسياسية؛ فظهرت على يده نهضة فى العلوم والأفكار أنتجت أفضل النتائج. وهنا موضع للتساؤل؛ عما حمل «الخديوى إسماعيل» إلى استمالته الأفغانى للإقامة فى مصر؛ وإكرام مثواه؛ ويبدو هذا العمل غريبًا؛ لأن لجمال الدين موقفًا سياسيًّا ومجموعة أخلاق ومبادئ؛ ولا ترغب فيه الملوك المستبدين؛ ولم يكن جمال الدين الأفغانى من أهل التملق والنفاق؛ فينال عطفهم ورعايتهم؛ ويجرون عليه الأرزاق بلا مقابل؛ ولكن الأمر لا يعسر فهمه إذا عرفنا أن فى إسماعيل جانبًا ممدوحًا من صفاته الحسنة؛ وهو حبه للعلم؛ ورغبته فى نشره ورعايته.

وكانت شخصية جمال الدين العلمية؛ وشهرته فى الفلسفة؛ أقوى ظهورًا وخاصة فى ذلك الحين من شخصيته السياسية، فلا غرو أن يكرم فيه إسماعيل العالم المحقق؛ الذى يفيض على مصر من بحر علمه وفضله؛ وفى الحق أن إسماعيل لم يكن يقصر فى اغتنام الفرصة لتنشيط النهضة العلمية ورعاية العلماء والأدباء؛ فترغيبه جمال الدين فى البقاء بمصر يشبه أن يكون فتحًا علميًّا؛ كتأسيس معهد من معاهد العلم العالية التى أنشئت على يده؛ وهو فى ذلك يعطى مثالًا للحاكم المتنور المثقف مثله مثل الخليفة المأمون وأثرها كحاكم على نشره بذور وتشجيع المد الإصلاحى والتنويرى للعقل العربى والإسلامى والذى سبق أن ناقشنا فى دور السلطة فى عملية الإصلاح.

لقد بدأت النهضة التى ظهرت على يد جمال الدين الأفغانى؛ علمية؛ أدبية؛ ولم تتطور إلى الناحية السياسية إلا حوالى سنة ١٨٧٦م؛ على أنها اتجهت تدريجيًّا فى تطورها السياسى ولم تتجه ضد الخديوى إسماعيل بالذات بل اتجهت فى الجملة ضد التدخل الأجنبى.

*** أثره التنويرى والإصلاحى**

أقام جمال الدين الأفغانى فى مصر؛ وأخذ يبث تعاليمه فى نفوس تلاميذه؛ فظهرت على يده بيئة، استضاءت بأنوار العلم والعرفان؛ وارتوت من ينابيع الأدب والحكمة؛ وتحررت عقولها من قيود الجمود والأوهام؛ وبفضله خطا من الكتابة والخطابة فى مصر خطوات واسعة؛ ولم تقتصر حلقات دروسه ومجالسه على طلبة العلم؛ بل كان يؤمها كثير من العلماء والموظفين والأعيان وغيرهم، وهو في كل أحاديثه لا «يسأم» كما يقول عنه محمد عبده، من الكلام فيما ينير العقل، أو يطهر العقيدة أو يذهب بالنفس إلى معالي الأمور، أو يستلفت الفكر إلى النظر في الشئون العامة مما يحسن مصلحة البلاد وسكانها، وكان طلبة العلم ينتقلون بما يكتبونه من تلك المعارف إلي بلادهم أيام البطالة، والزائرون يذهبون بما ينالونه إلى أحبائهم، فاستفيظت مشاعر وتنبهت عقول، وخف حجاب الغفلة في أطراف متعددة من البلاد خصوصًا في القاهرة.

روح جمال الدين كان لها الأثر البالغ في نهضة العلوم والآداب في مصر، ولا يفوتنا القول بأن البيئة كانت مستعدة للرقي، صالحة لغرس بذور هذه النهضة، وظهور ثمارها، أو بعبارة أخرى أن مصر بما فيها جامع الأزهر، والمعاهد العلمية الحديثة، والتقدم العلمي الذي بدأ منذ عهد محمد علي، كانت على استعداد لتقبل دعوة الحكم الأفغاني، ولولا هذا الاستعداد لقضي على هذه الدعوة في مهدها، ولأخفق هو في مصر كما أخفق في الأستانة، وهذا يبين لنا جانبًا من مكانة مصر، أثر جمال الدين الأفغاني في مصر أقوى وأعظم منه في أي بلد من البلدان الأخرى، وفي هذا ما يدلك على مبلغ استعداد مصر للنهضة والتقدم، إذا تهيأت لها أسباب العمل ووجدت القادة والحكماء.

إن جمال الدين الأفغاني بما اتصف به من الأخلاق العالية، أخذ يبث في النفوس روح العزة والشهامة، ويحارب روح الذلة والاستكانة، فكان بنفسيته ودروسه وأحاديثه، ومناهجه في الحياة، مدرسة أخلاقية، رفعت من مستوى النفوس في مصر، وكانت على الزمن من العوامل الفعَّالة للتحول الذي بدا على الأمة وانتقالها من حالة الخضوع والاستكانة إلى التطلع للحرية والتبرم بنظام الحكم القديم ومساوئه والسخط على تدخل الدول في شئون البلاد.

كانت مظاهر النهضة التي أطلق شرارتها جمال الدين الأفغاني نشاط الصحف السياسية، وإقبال الناس عليها، وتحدثهم في شئون البلاد العامة، وتبرمهم من حالتها السياسية والمالية، ثم ظهور روح المعارضة واليقظة في مجلس الشورى، على يد نواب نفخ فيهم جمال الدين الأفغاني

من روحه، وعلى رأسهم عبد السلام المويلحي (باشا)، الذي يعد من تلاميذه الأفذاذ، وعندما تولى الخديوي توفيق حكم مصر، وبإيعاز من القنصل الإنجليزي، نفي جمال الدين من مصر، على أن روحه ومبادئه وتعاليمه تركت أثرها في المجتمع المصري، وبقيت النفوس ثائرة تتطلع إلى نظام حكم حديث علي دعائم الحرية والشورى. فجمال الدين هو من الوجهه الروحية والفكرية أبو الثورة العرابية، وكثير من أقطابها هم من تلاميذه أو مريديه، والثورة في ذاتها هي استمرار للحركة السياسية التي كان لجمال الدين الفضل الكبير في ظهورها على عهد إسماعيل، ولو بقي في مصر حين نشوب الثورة لكان جائزًا أن يمدها بآرائه الحكيمة، وتجاربه الرشيدة، فلا يغلب عليها الخلل والخطأ، ولكن شاءت الأقدار، والدسائس الإنجليزية، أن ينفى الأفغاني من مصر، وهي أحوج ما تكون إلى الانتفاع بحكمته وصدق نظره للأمور.

ـ انتقاله إلى أوروبا:

أخفقت الثورة العرابية، واحتل الإنجليز مصر، فسمحوا للأفغاني بالذهاب إلى أي بلد، فاختار الذهاب إلى أوروبا سنة ١٨٨٣، وانتقل إلى باريس، وكان تلميذه محمد عبده منفيًّا في بيروت عقب إخماد الثورة، فاستدعاه إلى باريس، فوافاه إليها، وهناك أصدرا جريدة (العروة الوثقي)، وقد سميت باسم الجمعية التي أنشأتها، وهي تألفت لدعوة الأمم الإسلامية إلى الاتحاد والتضامن والأخذ بأسباب الحياة والنهضة، ومجاهدة الاستعمار، وتحرير مصر والسودان من الاحتلال، وكانت تضم جماعة من أقطاب العالم الإسلامي وكبرائه، وهي التي عهدت إلى الأفغاني بإصدار الجريدة لتكون لسان حالها.

وقد اشتركا معًا في تحريرها، وكانت مقالاتها جامعة بين روح جمال الدين، وقلم محمد عبده، فجاءت آية في سمو المعاني، وقوة الروح وبلاغة العبارة، وهي أشبه ماتكون بالخطب النارية، تستثير الشجاعة في نفوس قارئها، وتداني في روحها وقوة تأثيرها أسلوب الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ في خطبه الحماسية المنشورة في نهج البلاغة، واتخذت العروة شعارها لإيقاظ الأمم الإسلامية، والمدافعة عن حقوق الشرقيين كافة، ودعوتهم إلى مقاومة الاستعمار الأوروبي والجهاد.

قضى جمال الدين الأفغاني بإجراء أبحاث مع الفيلسوف وارنستا رينان Renan عن العالم الإسلامي، وأكبر فيه رينان عبقريته، وسعه علمه وقوة حجته، وقال عنه «كنت أتمثل أمامي عندما كنت أخاطبه ابن سينا، أو ابن رشد، أو واحدًا من أساطين الحكمة الشرقيين».

٢ ـ الإمام محمد عبده:

وُلد محمد بن عبده حسن خير الله سنة ١٢٦٦ هـ الموافق ١٨٤٩ م في قرية محلة نصر بمركز شبراخيت في محافظة البحيرة، وفي سنة ١٨٦٦م التحق بالجامع الأزهر، وفي سنة ١٨٧٧م، حصل على الشهادة العالمية، وفي سنة ١٨٧٩م عمل مدرسًا للتاريخ في مدرسة دار العلوم وفي سنة ١٨٨٢م اشترك في ثورة أحمد عرابي ضد الإنجليز، وبعد فشل الثورة حكم عليه بالسجن، ثم بالنفي إلى بيروت لمدة ثلاث سنوات، وسافر بدعوة من أستاذه جمال الدين الأفغاني إلى باريس سنة ١٨٨٤م، وأسس صحيفة العروة الوثقى.

وفي سنة ١٨٨٥م غادر باريس إلى بيروت، وفي ذات العامة أسس جمعية سرية بذات الاسم، العروة الوثقي.

يُعد الإمام محمد عبده واحدًا من أبرز المجددين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث، وأحد دعاة الإصلاح، وأعلام النهضة العربية الإسلامية الحديثة، فقد أسهم بعمله ووعيه واجتهاده في تحرير العقل العربي من الجمود الذي أصابه لعدة قرون، كما شارك في إيقاظ وعي الأمة نحو التحرير، وبعث الوطنية، وإحياء الاجتهاد الفقهي لمواكبة التطورات السريعة في العلم، ومسايرة حركة المجتمع وتطوره في مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية.

وفي سنة ١٨٨٦م اشتغل بالتدريس في المدرسة السلطانية، ثم عاد محمد عبده إلى مصر بعفو من الخديوي توفيق ووساطة تلميذه سعد زغلول وإلحاح نازلي فاضل على اللورد كرومر كي يعفو عنه، ويأمر الخديوي توفيق أن يصدر العفو وقد كان، وقد اشترط عليه كرومر ألا يعمل بالسياسة فقبل، وفي سنة ١٨٨٩م عين قاضيًا بمحكمة بنها، ثم انتقل إلى محكمة الزقايق ثم محكمة عابدين ثم ارتقى إلى منصب مستشار في محكمة الاستئناف عام ١٨٩١م، وفي عام ١٨٩٩م عين في منصب المفتي، وتبعًا لذلك أصبح عضوًا في مجلس الأوقاف الأعلى. وفي عام ١٩٨٠م عين عضوًا في مجلس شورى القوانين، وفي سنة ١٩٠٠م أسسس جمعية إحياء العلوم العربية لنشر المخطوطات، وزار العديد من الدول العربية.

إن الفتاوى النقدية والجريئة لمحمد عبده كانت تعتبر محاولة لإقصاء شيوخ الأزهر التقليديين، لم يكن هذا الأمر مخالفًا لرغبة السلطات المصرية آنذاك، حتى أن الإصلاحيين في الأزهر أمثال محمد مصطفى المراغي ومصطفى عبد الرازق كان يخدمان إرادة السلطة في إصلاح شئون الأزهر وتحطيم سطوة شيوخه على العامة.

من أهم مؤلفاته: رسالة التوحيد، تحقيق وشرح «دلائل الإعجاز» وأسرار البلاغة «للجرجاني، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، العروة الوثقى مع معلمه جمال الدين الأفغاني.

من تلامذته: محمد رشيد رضا، شاعر النيل حافظ إبراهيم، شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي، شيخ الأزهر مصطفى عبد الرازق، سعد زغلول، قاسم أمين، طه حسين. توفي الشيخ بالاسكندرية يوم ١١ يوليو عام ١٩٠٥م

٣ ـ رفاعة الطهطاوي:

رفاعة رافع الطهطاوي (١٢١٦هـ/ ١٨٠١م ـ ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م) من قادة النهضة العلمية في مصر في عهد محمد علي باشا. وُلد رفاعة الطهطاوي بمدينة طهطا إحدى مدن محافظة سوهاج بصعيد مصر.

لقي رفاعة عناية من أبيه، فحفظ القرآن الكريم، وبعد وفاة والده رجع إلى موطنه طهطا حيث كانت زاخرة بالشيوخ والعلماء، فحفظ على أيديهم المتون التي كانت متداولة في هذا العصر، وقرأ عليهم شيئًا من الفقة والنحو، التحق رفاعة وهو في السادسة عشرة من عمره بالأزهر في عام ١٨١٧م وشملت دراسته في الأزهر الحديث والفقه والتفسير والنحو والصرف.

يبدأ المنعطف الكبير في سيرة رفاعة الطهطاوي مع سفره سنة ١٨٢٦م إلى فرنسا ضمن بعثة عددها أربعون طالبًا أرسلها محمد علي على متن السفينة الحربية الفرنسية (لا ترويت) لدراسة العلوم الحديثة، وكان قد ذهب في هذه البعثة كإمام، ولكنه إلى جانب كونه إمام الجيش اجتهد ودرس اللغة الفرنسية هناك وبدأ بممارسة الترجمة، وبعد خمس سنوات حافلة أدى رفاعة امتحان الترجمة، وقدم مخطوطة كتابه الذي نال بعد ذلك شهرة واسعة «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» عاد رفاعة لمصر سنة ١٨٣١م مفعمًا بالأمل منكبًا على العمل فاشتغل بالترجمة في مدرسة الطب، ثم عمل على تطوير مناهج الدراسة في العلوم الطبيعية وافتتح سنة ١٨٣٥م مدرسة الترجمة، التي صارت فيما بعد مدرسة الألسن، وعين مديرًا لها إلى جانب عمله، وظل جهد رفاعة يتنامى بين ترجمة وتخطيط وإشراف على التعليم والصحافة، فأنشأ أقسامًا متخصصة للترجمة.

(الرياضيات ـ الطبيعية ـ الإنسانيات) وأنشأ مدرسة المحاسبة لدراسة الاقتصاد ومدرسة الإدارة لدراسة العلوم السياسية.

وكانت ضمن مغامرة استصدار قرار تدريس العلوم والمعارف باللغة العربية وإصدار جريدة الوقائع المصرية بالعربية بدلًا من التركية، هذا إلى جانب عشرين كتابًا من ترجمته، وعشرات غيرها أشرف على ترجمتها.

بيد أن هذه الشعلة سرعان ما خبت، مع تولي الخديوي عباس حكم مصر، فقد أغلق مدرسة الألسن وأوقف أعمال الترجمة وقصر توزيع الوقائع على كبار رجال الدولة من الأتراك، ونفى رفاعة إلى السودان عام ١٨٥٠م.

وهكذا أعيق المد التنويري للثقافة العربية، ومنع رفاعة عن مشروعه النهضوي الكبير، بيد أن رفاعة لم ييئس ولم يعاق، فواصل المشروع في منفاه، وجاهد للرجوع إلى الوطن وهو الأمر الذي تيسر بعد موت الخديوي عباس وولاية سعيد باشا، وكانت أربعة أعوام من النفي قد مرت، عاد رفاعة إلى مصر بأنشط مما كان، فأنشأ مكاتب محو الأمية لنشر العلم بين الناس وعاود عمله في الترجمة (المعاصرة) ودفع مطبعة بولاق لنشر أمهات كتب التراث العربي (الأصالة). قضى رفاعة فترة حافلة أخرى من العمل الجامع بين الأصالة والمعاصرة حتى انتكس سعيد فأغلق المدارس وفصل رفاعة من عمله عام ١٨٦١م.

يتولى الخديوي إسماعيل الحكم بعد وفاة سعيد سنة ١٨٦٣م، فيما ود رفاعة العمل ويقضي العقد الأخير من عمره الحافلة في نشاط مفعم بالأمل، فيشرف مرة أخرى وأخيرة على مكاتب التعليم، ويرأس إدارة الترجمة، ويصدر أول مجلة ثقافية في تاريخنا «روضة المدارس» ويكتب في التاريخ (أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل)، وفي التربية والتعليم والتنشئة (مباهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية)، (المرشد الأمين للبنات والبنين)، وفي السيرة النبوية (نهاية الإيجاز في تاريخ ساكن الحجاز)، ومن مؤلفاته أيضًا (القول السديد في الاجتهاد والتجديد)، و(تعريب القانون المدني الفرنسي) والكثير من المؤلفات الأخرى. كان نبوغ الطهطاوي ظاهرًا منذ الصغر.

فبعد أن أمضى رفاعة في الأزهر ست سنوات، جلس للتدريس فيه سنة ١٨٢١م، وهو في الحادية والعشرين من عمره، والتف حوله الطلبة يتلقون عنه علوم المنطق والحديث والبلاغة والعروض.

٤ ـ قاسم أمين:

قاسم محمد أمين (ديسمبر ١٨٦٣ ـ إبريل ١٩٠٨م). كاتب وأديب ومصلح اجتماعي

مصري وأحد مؤسسي الحركة الوطنية في مصر وجامعة القاهرة، كما يعد رائد حركة تحرير المرأة.

وُلد في بلدة طرة بمصر من أب تركي وأم مصرية من صعيد مصر، حصل على الثانوية العامة فالتحق بمدرسة الحقوق والإدارة ومنها حصل على الليسانس عام ١٨٨١م، وكان أول متخرج، عمل بعد تخرجه بفترة قصيرة بالمحاماة ثم سافر في بعثة دراسية إلى فرنسا وانضم لجامعة مونبيليه، وبعد دراسة دامت أربع سنوات أنهى دراسته القانونية بتفوق سنة ١٨٨٥م، وأثناء دراسته بفرنسا جدد صِلاته مع جمال الدين الأفغاني ومدرسته حيث كان المترجم الخاص بالإمام محمد عبده في باريس.

عاد قاسم من فرنسا بعد أن قضى فيها أربع سنوات يدرس بها المجتمع الفرنسي، واطلع على ما أنتجه المفكرون الفرنسيون من مواضيع أدبية واجتماعية، وراقت له الحرية السياسية التي ينعم بها أولاد الثورة الفرنسية والتي تسمح لكل كاتب أن يقول مايشاء حيث يشاء، فأقام مبدأ الحرية والتقدم على أسس من الثقافة المسلمة، وكان من المؤيدين للإمام محمد عبده في الإصلاح، ورأى أن الكثير من العادات الشائعة لم يكن أساسها الدين الإسلامي، وكتب في جريدة المؤيد ١٩ مقالًا عن العلل الاجتماعية في مصر ورد على الكونت داركور الذي كتب عن المصريين وجرح كرامتهم وقوميتهم وطعن بالدين الإسلامي في كتاب ألفه عام ١٨٩٤م بعنوان «المصريون»، وبحث في العلل الاجتماعية التي تعتري المجتمع المصري بأسلوب المصلح المشفق، وقد أيد قاسم أمين بعض آراء الكونت لاحق في كتابه تحرير المرأة، وقضى أربع سنوات وهو يكتب في المؤيد عن المواضيع التي أطلق عليها «أسباب ونتائج» أو «حكم ومواعظ».

كان قاسم أمين يرى أن تربية النساء هي أساس كل شيء، وتؤدي لإقامة المجتمع المصري الصالح وتخرج أجيالًا صالحة من البنين والبنات، فعمل على تحرير المرأة المسلمة، وذاعت شهرته وتلقى بالمقابل هجومًا كبيرًا فاتهمه مهاجموه بالدعوة للانحلال. كان من شبابه مهتمًا بالإصلاح الاجتماعي، فأصدر سنة ١٨٩٨م كتاب «أسباب ونتائج وأخلاق ومواعظ» وتبعه بكتاب «تحرير المرأة» نشره عام ١٨٩٩م، بدعم من الشيخ محمد عبده، سعد زغلول وأحمد لطفي السيد، والذي ترجمه الإنجليز ـ أثناء وجودهم في مصر ـ إلى الإنجليزية ونشروه في الهند والمستعمرات الإسلامية، الذي تحدث فيه عن الحجاب حيث أوضح فيه أن حجاب المرأة السائد ليس من الإسلام، وقال: إن الدعوة للسفور ليست خروجًا عن الدين.

وتحدث أيضًا عن تعدد الزوجات والطلاق، وقال إن العزلة بين المرأة والرجل لم تكن أساسًا من أسس الشريعة، وأن تعدد الزوجات وانطلاق الحدود يجب أن يتقيد بها الرجل، ثم دعا لتحرير المرأة لتخرج للمجتمع وتلم بشئون الحياة، بهذا الكتاب زلزلت مصر وأثيرت ضجة وعاصفة من الاحتجاجات والنقد، ولكن قاسم لم يتزعزع أمام النقاد فواصل يدرس الكتب والمقالات لمدة سنتين ويرد على منتقديه بكتابه المرأة الجديدة عام ١٩٠١م ردًّا على ناقديه، يتضمن أفكار الكتاب الأول نفسها ويستدل على أقواله بأقوال الغربيين. فطالب بإقامة تشريع يكفل للمرأة حقوقها وبحقوق المرأة السياسية وأهداه لصديقه الزعيم سعد زغلول.

كان قاسم قاضيًا وكاتبًا وأديبًا فذًّا ومصلحًا اجتماعيًّا، اشتهر بأنه زعيم الحركة النسائية في مصر كما اشتهر بدفاعه عن الحرية الاجتماعية وبدعوته لتحقيق العدالة وإنشائه الجامعة المصرية وبدعايته للتربية في سبيل النهضة القومية ودعا لتحرير اللغة العربية من التكلف والسجع، فقد كان أديبًا مغوارًا ولكن أحدًا لم يتفق معه على التحرر من حركات الإعراب فماتت دعوته في رحم الكلمة.

يعتبر قاسم أحد رجال الإصلاح المنتمين لمدرسة الإمام محمد عبده الذين يؤمنون بالإصلاح التربوي التدريجي من شأنه أن يكون جيلًا مثقفًا مستنيرًا قادرا على القيام بأعباء التغيير والتحول بعد أن يتمرس تدريجيًا ويجد في نفسه القدرة علي ذلك. كان قاسم يحب الفنون ويعتقد أن الحياة محبة ورحمة وتسامحًا وسلامًا، فكان رجلًا مثاليًّا وتدرج في مناصب القضاء حتي كان مستشارًا في محكمة الاستئناف، وكان قبلها وكيلًا للنائب العمومي في محكمة مصر المختلطة.

٥ ـ أحمد لطفي السيد:

أحمد لطفي السيد مفكر وفيلسوف مصري، وصف بأنه رائد من روَّاد حركة النهضة والتنوير في مصر. وصفه عباس العقاد «بأنه بحق أفلاطون الأدب العربي» أطلق عليه لقب أستاذ الجيل وأبو الليبرالية المصرية، وُلد في ١٥ يناير ١٨٢٧م، بقرية برقين، مركز السنبلاوين بمحافظة الدقهلية، وتخرج في مدرسة الحقوق سنة ١٩٨٤م، تعرف أثناء دراسته على الإمام محمد عبده وتأثر بأفكاره، كما تأثر بملازمة جمال الدين الأفغاني مدة في إستنبول، وبقراءة كتب أرسطو، ونقل بعضها إلى العربية، عمل وزيرًا للمعارف ثم وزيرًا للخارجية ثم نائبًا لرئيس الوزراء في وزارة إسماعيل صدقي ونائبًا في مجلس الشيوخ المصري، ورئيسًا لمجمع اللغة

العربية، وحسب كتاب «أعلام مجمع اللغة العربية» لمحمد الحسين، ففي أثناء عمل لطفي السيد كرئيس للمجمع عرض عليه الضباط الأحرار في حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م أن يصبح رئيسًا لدار الكتب المصرية، ومديرًا للجامعة المصرية، كما أسس عددًا من المجامع اللغوية والجمعيات العلمية.

ـ أهم مواقفه وإنجازاته:

كان أحمد لطفي السيد وراء حملة التبرعات الخاصة بإنشاء أول جامعة أهلية في مصر عام ١٩٠٨م «الجامعة المصرية» والتي تحولت في ١٩٢٨م إلى جامعة حكومية تحت اسم جامعة فؤاد الأول أو جامع القاهرة فيما بعد.

تبنى أحمد لطفي السيد المفهوم الليبرالي للحرية في أوروبا خلال القرن التاسع عشر مناديًا بتمتع الفرد بقدر كبير من الحرية وبغياب رقابة الدولة على المجتمع ومشددًا على ضرورة أن يكون الحكم قائمًا على أساس التعاقد الحر بين الناس والحكام، وهو صاحب المقولة الشهيرة «الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية» ونادى بتحديد مفهوم للشخصية المصرية رافضًا ربط مصر بالعالم العربي أو تركيا أو العالم الإسلامي سياسيًا، ويربط بين الجنسية والمنفعة، وكان أهم ماطرحه في هذا الشأن الدعوة إلى القومية المصرية كأساس لانتماء المصريين. كما نادى بتعليم المرأة، وتخرجت في عهد رئاسته للجامعة أول دفعة من الطالبات عام ١٩٣٢م.

ـ طالب باستقلال الجامعة، وقدم استقالته حين تم إقصاء طه حسين عن الجامعة سنة ١٩٣٢م. كما قدم استقالته مرة أخرى حين اقتحمت الشرطة حرم الجامعة عام ١٩٣٧م، كما كان ضد إنشاء المدارس الدينية سواء إسلامية أو إرساليات مسيحية، إضافة لرفضه إنشاء المدارس الأجنبية في مصر.

ـ دعى إلى استعمال اللغة العامية المصرية بدلًا من العربية الفصحي.

ـ دعوته إلى دراسة الفلسفات اليونانية، والاقتباس منها، وتشجيع تلامذته على ذلك، كما ترجم بعض كتب أرسطو إلى العربية.

ـ أسس حزب الأمة المصري صاحب شعار مصر للمصريين في ديسمبر ١٩٠٧م، حيث كان هدف الحزب الرئيسي هو «المطالبة بالاستقلال التام والدستور».

ـ يعتبر من روّاد الليبرالية المصرية، وهو من مؤسسي مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

ـ للطفي السيد عديد من المؤلفات الفكرية منها «صفحة مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية «تأملات».

«المتنقبات» تأملات في الفلسفة والأدب والسياسة والاجتماع «كما ترجم عدة مؤلفات لأرسطو منها:

«الأخلاق» «علم الطبيعة » و« السياسية» إضافة إلى مذكراته بعنوان «قصة حياتي»

٦ ـ طه حسين:

طه حسين (١٥ نوفمبر ١٨٨٩ ـ ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣)، أديب وناقد مصري، لقب بعميد الأدب العربي، غيَّر الرواية العربية، مبدع السيرة الذاتية في كتابه «الأيام» الذي نشر عام ١٩٢٩م. يعتبر من أبرز الشخصيات في الحركة العربية الأدبية الحديثة، يراه البعض من أبرز دعاة التنوير في العالم العربي، في حين يراه آخرون رائدًا من روَّاد التغريب في العالم العربي، كما يعتقد الإسلاميون أن الغرب هو من خلع عليه لقب عميد الأدب العربي.

وُلد طه يوم الجمعة ١٥ نوفمبر ١٨٨٩م، سابع أولاد أبيه حسين الثلاثة عشر، في قرية الكيلو قريبة من مغاغة إحدى مدن محافظة المنيا في الصعيد الأوسط المصري، وما مر علي عيني الطفل أربعة من الأعوام حتى أصيبتا بالرمد مما أطفأ النور فيهما إلى الأبد.

في عام ١٩٠٢م دخل طه حسين الأزهر للدراسة الدينية، والاستزادة من العلوم العربية، فحصل فيه ما تيسر من الثقافة، ونال شهادته التي تخوله التخصص في الجامعة، لكنه ضاق ذرعًا بها، فكانت الأعوام الأربعة التي قضاها فيها، وهذا ماذكره هو نفسه، وكأنها أربعون عامًا، وذلك بالنظر إلى رتابة الدراسة، وعقم المنهج، وعدم تطور الأساتذه والشيوخ.

نال عام ١٩١٤م شهادة الدكتوراه، وكان موضوعها هو «ذكرى أبي العلاء» مما أثار ضجة في الأوساط الدينية المتزمتة، وفي ندوة البرلمان المصري اتهمه أحد أعضاء البرلمان بالمروق والزندقة والخروج على مبادئ الدين الحنيف، وفي العام نفسه، أي في عام ١٩١٤م أوفدته الجامعة المصرية إلى مونبيليه بفرنسا، لمتابعة التخصص والاستزاده من فروع المعرفة والعلوم العصرية، فدرس في جامعتها الفرنسية وآدابها، وعلم النفس والتاريخ حديث، بقي هناك حتى عام ١٩١٥م ثم عاد إلى مصر، فأقام فيها حوالي ثلاثة أشهر أثار خلالها معارك وخصومات متعددة، محورها الكبير بين تدريس الأزهر وتدريس الجامعات الغربية، مما حـ

بالمسئولين اتخاذ قرار بحرمانه من المنحة المعطاة له لتغطية نفقات دراسته في الخارج، لكن تدخل السلطان حسين كامل وحال دون تطبيق هذا القرار، فعاد إلى فرنسا من جديد لمتابعة التحصيل العلمي، وفي العاصمة باريس، درس في جامعتها مختلف الاتجاهات العلمية في علم الاجتماع والتاريخ اليوناني والروماني والتاريخ الحديث وأعد خلالها أطروحة الدكتوراه الثانية وعنواها: «الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون» لما عاد إلى مصر سنة ١٩١٩م عُين طه حسين أستاذًا للتاريخ اليوناني والروماني في الجامعة المصرية، وكانت جامعة أهلية، فلما ألحقت بالدولة سنة ١٩٢٥م عينه أستاذًا فيها للأدب العربي، فعميدًا لكلية الآداب في الجامعة نفسها، وذلك في سنة ١٩٢٨م، لكنه لم يلبث في العمادة يوم واحد إذ قدم اسقالته من هذا المنصب تحت تأثير الضغط المعنوي والأدبي الذي مارسه عليه الوفديون، خصوم الأحرار الدستوريين الذي كان منهم طه حسين.

في عام ١٩٢٦م ألّف طه حسين كتابه المثير للجدل «في الشعر الجاهلي» وعمل فيه بمبدأ «ديكارت «وخلص في استنتاجاته وتحليلاته أن الشعر الجاهلي متحول، وأنه كتب بعد الإسلام ونسب للشعراء الجاهليين. تصدى له العديد من علماء الفلسفة واللغة، كما قاضى عددًا من علماء الأزهر طه حسين إلا أن المحكمة برأته لعدم ثبوت أن رأيه قصد به الإساءة المتعمدة للدين أو القرآن، فعدل اسم كتابه إلى «في الأدب الجاهلي» وحذف منه المقاطع الأربعة التي أخذت عليه.

● أفكاره:

دعا طه حسين للنهضة الأدبية، وعمل على الكتابة بأسلوب سهل واضح مع المحافظة على مفردات اللغة وقواعدها، ولقد أثارت آراؤه الكثيرين كما وجهت له العديد من الاتهامات. ولم يبال طه بهذه الثورة ولا بهذه المعارضات القوية التي تعرض لها، ولكن استمر في دعوته للتجديد والتحديث، فقام بتقديم العديد من الآراء التي تميزت بالجرأة الشديدة والصراحة. فقد أخذ على المحيطين به ومن الأسلاف من المفكرين والأدباء طرقهم التقليدية في تدريس الآدب العربي، وضعف مستوى التدريس في المدارس الحكومية، ومدرسة القضاء وغيرها، وكما دعا إلى أهمية توضيح النصوص العربية الأدبية للطلاب هذا بالإضافة لأهمية إعداد المعلمين الذين يقومون بتدريس اللغة العربية، والأدب ليكونا على قدر كبير من التحكم، والثقافة بالإضافة لاتباع المنهج التجديدي وعدم التمسك بالشكل التقليدي في التدريس.

من أقواله الشهيرة: «أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أندادًا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب.

قال عنه العقاد إنه رجل جريء العقل مفطور على المناجزة والتحدي، فاستطاع بذلك نقل الحراك الثقافي بين القديم والحديث من دائرته الضيقة التي كان عليها إلى مستوى أوسع وأرحب بكثير، وقال عنه الدكتور إبراهيم مدكور «اعتاد تجربة الرأي وتحكيم العقل، واستنكر التسليم المطلق، ودعا إلى استخدام العقل في البحث والتحري بل إلى الشك والمعارضة».

٧ ـ هدى شعراوي:

هدى شعراوي كانت من أبرز الناشطات المصريات في مجالي الاستقلال الوطني المصري والنشاط النسائي في نهايات القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، هي نور الهدى محمد سلطان، وُلدت في مدينة المنيا في صعيد مصر في ٢٣ يونيو ١٨٧٩م وهى ابنة محمد سلطان باشا، رئيس مجلس النواب المصري الأول في مصر في عهد الخديوي توفيق، تلقت التعليم في منزل أسرتها، وتزوجت مبكرًا في سن الثالثة عشرة من ابن عمتها «على الشعراوي» الذي يكبرها بما يقارب الأربعين عامًا، ليتغير اسم عائلتها «للشعراوي». كان أحد شروط عقد زواجها أن يطلق زوجها زوجته الأولى.

النشاط النسائي:

أسست هدى شعراوي جمعية لرعاية الأطفال عام ١٩٠٧م، وفي العام ١٩٠٨م نجحت في إقناع الجامعة المصرية بتخصيص قاعة للمحاضرات النسوية، وكان لنشاط زوجها علي الشعراوي السياسي الملحوظ في ثورة ١٩١٩م أثر كبير على نشاطاتها، فشاركت بقيادة مظاهرات السيدات عام ١٩١٩م، وأسست «لجنة الوفد المركزية للسيدات «وقامت بالإشراف عليها.

في عام ١٩٢١م وفي أثناء استقبال المصريين لسعد زغلول، دعت هدى شعراوي إلى رفع السن الأدنى للزواج للفتيات ليصبح ١٦ عامًا، وكذلك للفتيان ليصبح ١٨ عامًا، كما سعت لوضع قيود للرجل للحيلولة دون الطلاق من طرف واحد، كما أيدت تعليم المرأة وعملها المهني والسياسي، وعملت ضد ظاهرة تعدد الزوجات، كما دعت إلى خلع غطاء الوجه، وقامت هى بخلعه، وهو ما اعتبره البعض وقتها علامة «انحلال»؛ لكنها حاربت ذلك من خلال دعوتها

إلى تعليم المرأة وتثقيفها؛ ثم قامت بإشهار أول اتحاد نسائى فى مصر، أسست هدى «الاتحاد النسائى المصرى» عام ١٩٢٣م؛ وشغلت منصب رئاسته حتى عام ١٩٤٧م، كما كانت عضوًا مؤسسًا فى الاتحاد النسائى العربى» وصارت رئيسته فى عام ١٩٣٥م؛ وفى العام نفسه صارت نائبة رئيسة لجنة اتحاد المرأة العالمى؛ حضرت عدة مؤتمرات دولية منها مؤتمر روما برلين عام ١٩٢٧م؛ مؤتمر إسطنبول عام ١٩٣٥م؛ وكذلك دعمت إنشاء نشرة المرأة العربية «الناطقة باسم الاتحاد النسائى العربى؛ وأنشأت مجلة «L Egyptienne» عام ١٩٢٥م ومجلة المصرية عام ١٩٣٧م؛ وطالبت بتعليم الفتيات ومن مؤلفاتها كتاب «عصر الحريم» والذى يسرد مذكرات المرأة المصرية فى البريطانية «مارجوت بدران».

٨ ـ مصطفى عبد الرازق:

الشيخ مصطفى عبد الرازق (١٨٨٥م ـ ١٩٤٧م) هو شيخ الجامع الأزهر الشريف؛ ومجدد الفلسفة الإسلامية فى العصر الحديث؛ وصاحب أول تاريخ لها بالعربية؛ ومؤسسى المدرسة الفلسفية العربية التى أقامها على أسس الإسلام. تولى الشيخ مصطفى عبدالرازق وزارة الأوقاف ثمانى مرات؛ وكان أول أزهرى يتولاها؛ واختير شيخًا للأزهر فى ديسمبر ١٩٤٥م. وُلد مصطفى عبد الرازق فى أسرة وطنية ثرية فى قرية أبو جرج بمحافظة المنيا؛ فكان والده من مؤسسى جريدة «الجريدة» التى دعت إلى الحكم الدستورى والإصلاح الاجتماعى والتعليم؛ وكذلك كان والده من مؤسس «حزب الأمة» حفظ القرآن الكريم؛ ثم التحق بالأزهر؛ حيث التقى بالشيخ الإمام محمد عبده؛ وهناك حصل على شهادة العالمية عام ١٩٠٨م، ودرس القضاء الشرعى فى الأزهر؛ ثم استقال، سافر إلى فرنسا ودرس فى جامعة «السوربون»؛ ثم جامعة «ليون» التى حاضر فيها أصول الشريعة الإسلامية، حصل على شهادة الدكتوراه برسالة عن «الإمام الشافعى أكبر مشرعى الإسلام»؛ وترجم إلى الفرنسية «رسالة التوحيد» للإمام محمد عبده بالاشتراك مع «برنار ميشيل» وألفا معًا كتابًا بالفرنسية. عاد إلى مصر وعين موظفًا فى المجلس الأعلى للأزهر؛ ثم مفتشًا بالمحاكم الشرعية؛ وكان نشطًا فى الصحافة والسياسة، ثم أصبح أستاذ كرسى فى الفلسفة؛ وأصدرت أهم كتبه الفلسفية «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية وكتاب فيلسوف العرب والمعلم الثانى». تتلمذ على يديه نجيب محفوظ، حيث أدرك محفوظ أهمية العربية الفصحى فى الكتابة بديلًا عن العامية؛ شقيقة على عبد الرازق كان وزيرًا للأوقاف، وهو صاحب كتاب «الإسلام وأصول الحكم» الذى أغضب الأزهر فسحب شهادته.

مؤلفاته:

ـ تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية عام ١٩٤٤م، وهو أشهر كتبه وأهمها.

ـ في سيرة الكندي والفارابي، وصدر عام ١٩٤٥م.

ـ كتاب الإمام الشافعي، وصدر ١٩٤٥م.

ـ الدين والوحي والإسلام.

ـ فيلسوف العرب والمعلم الثاني.

ـ محمد عبده وسيرته ونشر في عام ١٩٤٦م، وهو يجمع مقالاته ودراساته عن أستاذه، وركز فيه على الجانب الإصلاحي والفلسفي من حياة الإمام، كما قام بترجمة «رسالة التوحيد» لمحمد عبده إلى الفرنسية بالاشتراك مع:

ـ برنارد ميشيل

ـ مذكرات مسافر

ـ مذكرات مقيم

ج ـ رواد مرحلة التنوير والإصلاح الثالثة من أواخر القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين:

١ ـ نجيب محفوظ:

نجيب محفوظ روائي مصري، وهو أول عربي حائز على جائزة نوبل في الأدب. وُلد في ١١ ديسمبر ١٩١١م، وتوفي في ٣٠ أغسطس ٢٠٠٦م. كتب نجيب محفوظ منذ بداية الأربعينيات واستمر حتى ٢٠٠٤م. تدور أحداث جميع رواياته في مصر، وتظهر فيها سمة متكررة هي الحارة التي تعادل العالم، من أشهر أعماله الثلاثية، وأولاد حارتنا التي منعت من النشر في مصر منذ صدورها وحتى وقت قريب. بينما يصنف أدب محفوظ باعتباره أدبًا واقعيًا، فإن مواضيع وجودية تظهر فيه.

وُلد نجيب محفوظ عبد العزيز أحمد الباشا في القاهرة، التحق بجامعة القاهرة في عام ١٩٣٠م وحصل على ليسانس الفلسفة، شرع بعدها في إعداد رسالة الماجستير عن الجمال في الفلسفة الإسلامية ثم غير رأيه وقرر التركيز على الأدب.

مسيرته الأدبية:

بدأ نجيب محفوظ الكتابة في منتصف الثلاثينات، وكان ينشر قصصة القصيرة في مجلة الرسالة في ١٩٣٩م، نشر روايته الأولي «عبث الأقدار» التي تقدم مفهومه عن الواقعية التاريخية، ثم نشر «كفاح طيبة» و«رادو بيس» منهيًا ثلاثية تاريخية في زمن الفراعنة. وبدءًا من ١٩٤٥م بدأ نجيب محفوظ خطه الروائي الواقعي الذي حافظ عليه في معظم مسيرته الأدبية برواية القاهرة الجديدة، ثم «خان الخليلي» و«زقاق المدق». جرب نجيب محفوظ الواقعية النفسية في رواية «السراب»، ثم عاد إلى الواقعية الاجتماعية مع «بداية ونهاية» وثلاثية القاهرة، فيما بعد اتجه محفوظ إلى الرمزية في رواياته «الشحاذ»، و«أولاد حارتنا» التي سببت ردود فعل قوية، وكانت سببًا في التحريض على محاولة اغتياله.

اتجه في مرحلة متقدمة من مشواره الأدبي إلى مفاهيم جديدة كالكتابة على حدود الفانتازيا كما في روايته (الحرافيش، ليالي ألف ليلة)، وكتابه في الفكر الصوفي والأحلام كما في عملية (أصداء السيرة الذاتية، أحلام فترة النقاهة) واللذان اتسما بالتكثيف الشعري وتفجير اللغة والعلوم، وتعتبر مؤلفات محفوظ من ناحية بمثابة مرآة للحياة الاجتماعية والسياسية في مصر، ومن ناحية أخرى يمكن اعتبارها تدوينًا معاصرًا لفهم الوجود الإنساني ووصفه الإنسان يبدو وكأنه هجر الله أو هجره الله، كما أنها تعكس رؤية المثقفين على اختلاف ميولهم إلى السلطة.

في ٢١ سبتمبر ١٩٥٠م بدأ نشر رواية «أولاد حارتنا» مسلسلة في جريدة الأهرام، ثم توقف النشر في ٢٥ ديسمبر من العام نفسه بسبب اعتراضات هيئات دينية على «تطاوله علي الذات الإلهية» على حرز عنهم. لم تنشر الرواية كاملة في مصر في تلك الفترة، واقتضى الأمر ثماني سنين أخرى حتي تظهر كاملة في طبعة جديدة في بيروت عام ١٩٦٧م، وأعيد نشر «أولاد حارتنا» في مصر في عام ٢٠٠٦م.

في أكتوبر ١٩٩٥م طعن نجيب محفوظ في عنقه علي يد شابين قد قررا اغتياله لاتهامه بالكفر والخروج من الملة بسبب رواياته المثيرة للجدل. توفي نجيب محفوظ في أغسطس ٢٠٠٦م.

٢ ـ زكى نجيب محمود

د. زكى نجيب محمود (١ فبراير ١٩٠٥ ـ ٨ سبتمبر ١٩٩٣م) كان أكاديميًّا وأستاذ فلسفة مصرى، وُلد فى ميت الخولى عبد الله؛ مركز الزرقا؛ نجح زكى نجيب محمود فى تقديم أعسر

الأفكار على الهضم العقلى للقارئ العربى فى عبارات أدبية مشرقة؛ وفك أصعب مسائل الفلسفة، وجعلها فى متناول قارئ الصحيفة اليومية؛ واستطاع بكتاباته أن يخرج الفلسفة من بطون الكتب وأروقة المعاهد والجماعات لتؤدى دورها فى الحياة. عُيِّن مستشارًا ثقافيًا للسفارة المصرية فى واشنطن؛ وعضوًا فى المجلس القومى للثقافة، بعد عودته إلى مصر التحق بهيئة التدريس ويصبح الصحفى أنيس منصور من تلاميذه؛ ثم عمل بجامعة القاهرة أستاذًا متفرغًا؛ ثم سافر إلى الكويت سنة ١٩٦٨م حيث عمل أستاذًا للفلسفة بجامعة الكويت لمدة خمس سنوات متصلة. سافر من قبل إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٥٣م، وعمل أستاذًا زائرًا فى جامعة كولومبيا بولاية كارولنيا الجنوبية؛ وبعد أن أمضى بها الفصل الدراسى الأول انتقل إلى التدريس بجامعة بولمان بولاية واشنطن فى الفصل الدراسى الثانى، فى عام ١٩٦٥م عهدت إليه وزارة الثقافة المصرية بإنشاء مجلة فكرية رصينة تعنى بالتيارات الفكرية والفلسفية المعاصرة؛ فأصدر مجلة «الفكر المعاصر» ورأس تحريرها وقام بدعوة كبار رجال الفكر فى مصر للكتابة فيها؛ وشارك هو فيها بمقال شهرى ثابت تحت عنوان «تيارات فلسفية». انضم بعد عودته من الكويت إلى الأسرة الأدبية بجريدة الأهرام سنة ١٩٧٣م؛ وشارك بمقاله الأسبوعى الذى كان ينشره على صفحاتها كل ثلاثاء، وبلغ من اهتمام الصحافة بهذه المقالة الرصينة أن خمس صحف عربية كانت تنشر هذا المقال فى نفس يوم صدوره بالقاهرة، إلى جانب المناصب المهمة التى شغلها؛ والكتابات الغزيرة المهمة التى أصدرها؛ وتأثيره على عدد كبير من تلامذته فى مصر والعالم العربى إلى اليوم، فقد كان الدكتور زكى نجيب المدشن الأول لتيارالوضعية المنطقية فى مصر والعالم العربى والإسلامى؛ فى كتبه: المنطق الوضعى فى جزئين؛ وخرافة الميتافيزقيا؛ ونحو فلسفة علمية؛ وغيرها؛ كما كان صاحب أسلوب أدبى متماسك وأنيق يخلق صلة بين الوعى الفلسفى والذوق الأدبى، من أعماله: المنطق الوصفى؛ خرافة الميتافيزقيا، نحو فلسفة علمية، حياة الفكر في العالم الجديد، تجديد في الفكر العربي، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، في تحديث الثقافة العربي وغيرها.

حصل الدكتور زكي نجيب محمود على جائزة الدولة التقديرية.

٣ ـ محمد أركون

محمد أركون (١٩٢٨م ـ ١٤ سبتمبر ٢٠١٠م) مفكر وباحث أكاديمي ومؤرخ جزائري راحل، وُلد بالجزائر وانتقل إلى وهران لمواصلة دراسته الثانوية، يذكر أن أركون نشأ في عائلة فقيرة، فاضطر محمد أن ينتقل مع أبيه دائمًا، ويحكي أركون عن نفسه بأنه انتقل إلى قرية صغيرة

شرق وهران، وأن هذه القرية التي انتقل إليها كانت قرية غنية بالمستوطنين الفرنسين، وأنه عاش فيها «صدمة ثقافية» ولما انتقل إلى هناك، درس في مدرسة فرنسية تبشيرية، والأهم من ذلك كله أن أركون شرح مشاعره تجاه تلك المدرسة حيث يرى أنه عند المقارنة بين تلك الدروس المحفزة في المدرسة الغربية مع الجامعة، فإن الجامعة تبدو كصحراء فكرية.

درس الأدب العربي والقانون والفلسفة والجغرافيا بجامعة الجزائر، ثم بتدخل من المستشرق الفرنسي «لوي ماسينيون» قام بإعداد دراساته في اللغة والآداب العربية في جامعة السوربون في باريس، ثم اهتم بفكر المؤرخ والفليسوف ابن مسكويه الذي كان موضوع أطروحته.

● فكره:

تميز فكر أركون بمحاولة عدم الفصل بين الحضارات شرقية وغربية، واحتكار الإسقاطات على أحدهما دون الآخر، بل إمكانية فهم الحضارات دون النظر إليها على أنها شكل غريب من الآخر، وهو ينتقد الاستشراق المبني على هذا الشكل من البحث. يتميز طرح أركون الفكري على محاولة نقد أسس العقيدة الإسلامية على غرار المستشرقين، حيث تتلمذ على المدرسة الاستشراقية، ويورد كثيرًا من المقدمات الخاطئة التي يبني عليها نتائج غير صحيحة، ولكنه على وجه العموم يعتبر صاحب حركة تجديد فكرية عربية وإسلامية مهمة.

عُين محمد أركون أستاذ التاريخ الفكر الإسلامي والفلسفة في جامعة السوربون عام ١٩٨٠م بعد حصوله على درجة الدكتوراه في الفلسفة منها، وعمل كباحث مرافق في برلين عام ١٩٨٦، ١٩٨٧م. شغل أيضًا ومنذ العام ١٩٩٣م منصب عضو في مجلس إدارة معهد الدراسات الإسلامية في لندن كتب محمد أركون معظم كتبه عن تجديد الفكر العربي والإسلامي باللغة الفرنسية أو بالإنجليزية، وترجمت أعماله إلى العديد من اللغات من بينها العربية والهولندية والإنجليزية والإندونيسية، ومن مؤلفاته المترجمة إلى العربية:

١ ـ الفكر العربي.

٢ ـ الإسلام: أصالة وممارسة.

٣ ـ نقد العقل الإسلامي.

٤ ـ الفكر الإسلامي: قراءة علمية.

٥ ـ الإسلام: الأخلاق والسياسة.

٦ ـ الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد.

٧ ـ العلمنة والدين: الإسلام، المسيحية، الغرب.

٨ ـ من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي.

٩ ـ من فصل التفرقة إلى فصل المقال: أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟

١٠ ـ نزعة الأسنة في الفكر العربي.

توفي في سبتمبر ٢٠١٠م ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط بطلب منه.

٤ ـ محمد عابد الجابري:

محمد عابد الجابري (١٩٣٦ ـ ٣ مايو ٢٠١٢م)، مفكر وفليسوف مغربي له ٣٠ مؤلفًا في قضايا الفكر المعاصر، أبرزها «نقد العقل العربي» الذي تمت ترجمته إلى عدة لغات أوروبية وشرقية.

وُلد محمد الجابري بمدينة سيدي الحسن الواقعة في شرق المغرب، بدأت أمارات التفوق على الجابري منذ الصغر، حين برع في الحساب، كما كان يجيد القراءة في كتاب التلاوة الفرنسية، وكان الانتساب للمدرسة الفرنسية ينطوي على نوع من عدم الوطنية آنذاك، أتيحت للجابري فرصة الالتقاء بالحاج محمد فرج، وهو من رجال السلفية النهضوية بالمغرب الذين جمعوا بين الإصلاح الديني والكفاح الوطني والتحديث الاجتماعي والثقافي، حصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة عام ١٩٦٧م ثم دكتوراه الدولة في الفلسفة عام ١٩٧٠م من كلية الآداب بالرباط، عمل كمعلم بالابتدائي ثم شغل وظيفة أستاذ للفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بالرباط كان عضوًا بمجلس أمناء المؤسسة العربية للديمقراطية.

مسيرته الإصلاحية والفكرية:

استطاع محمد عابد الجابري عبر سلسلة نقد العقل العربي القيام بتحليل العقل العربي عبر دراسة المكونات والبنى الثقافية واللغوية التي بدأت من عصر التدوين ثم انتقل إلى دراسة العقل السياسي ثم الأخلاقي، وهو مبتكر مصطلح «العقل المستقيل» وهو ذلك العقل الذي يبتعد عن النقاش في القضايا الحضارية الكبرى، وفي نهاية تلك السلسلة يصل الجابري إلى نتيجة مفادها: «أن العقل العربي في أمس الحاجة اليوم إلى إعادة الابتكار».

حمل الجابري عددًا من المشاريع الفكرية، صاحب صدورها جدل ونقاش لم يتوقف حولها، فكانت «ثلاثية نقد العقل العربي» والتي تكونت من ثلاثة إصدارات رئيسية كانت باكورة أعمال الجابري، أعطى فيها للعقل دورًا محوريًّا في إعادة قراءة العقل العربي.

تلك الإصدارات الثلاث هي: تكوين العقل العربي، وبنية العقل العربي، والعقل السياسي العربي، وقد أحدثت هزة في الأوساط الفكرية العربية، وقد دفعت هذه الثلاثية كاتبًا سوريًّا مثل جورج طرابيش إلى إصدار كتاب ناقد لها سماه «نقد نقد العقل العربي» يرد فيه على الجابري.

من أهم أعماله: ثلاثية نقد العقل العربي، نحن والتراث، مدخل إلى القرآن، مدخل إلى فلسفة العلوم، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، التراث والحداثة: دراسات ومناقشات، الخطاب العربي المعاصر. حاز على جائزة بغداد للثقافة العربية/ اليونسكو، الجائزة المغاربية للثقافة، جائزة الدراسات الفكرية في العالم العربي، ميدالية ابن سينا من اليونسكو. تُوفي المفكر الجابري في يوم الإثنين ٣ مايو ٢٠١٢م في الدار البيضاء بعد معاناة طويلة مع المرض.

٥ ـ فرج فودة:

فرج فودة كاتب ومفكر مصري. وُلد في أغسطس ١٩٤٥م ببلدة الزرقا بمحافظة دمياط في مصر، وهو حاصل على ماجستير العلوم الزراعية ودكتوراه الفلسفة في الاقتصاد الزراعي من جامعة عين شمس، ثم اغتياله على يد جماعة إرهابية آنذاك في ٨ يونيو ١٩٩٢م في القاهرة. أثارت كتابات د. فرج فودة جدلًا واسعًا بين المثقفين والمفكرين ورجال الدين، واختلفت حولها الآراء وتضاربت، فقد طالب بفصل الدين عن الدولة، وكان يرى أن الدولة المدنية لا شأن لها بالدين، حاول فرج فودة تأسيس حزب باسم «حزب المستقبل»، وكان ينتظر الموافقة من لجنة شئون الأحزاب التابعة لمجلس الشورى المصري ووقتها كانت جبهة علماء الأزهر تشن هجومًا كبيرًا عليه، وطالبت تلك اللجنة لجنة شئون الأحزاب بعدم الترخيص لحزبه، بل وأصدرت تلك الجبهة في ١٩٩٢م «بجريدة النور» بيانًا بكفر الكاتب المصري فرج فودة ووجوب قتله، استقال فرج فودة من حزب الوفد الجديد، وذلك لرفضه تحالف الحزب مع جماعة الإخوان المسلمين لخوض انتخابات مجلس الشعب المصري عام ١٩٨٤م.

أسس الجمعية المصرية للتنوير في شارع أسماء فهمي بمدينة نصر، وهي التي اغتيل أمامها.

٦ ـ نصر حامد أبوزيد:

نصر حامد أبوزيد (١٠ يوليو ١٩٤٣م ـ ٥ يوليو ٢٠١٠م) أكاديمي مصري، وباحث

متخصص في الدراسات الإسلامية ومتخصص في فقه اللغة العربية والعلوم الإنسانية، ولد في إحدى قرى طنطا، ونشأ في أسرة ريفية بسيطة، في البداية لم يحصل على شهادة الثانوية العامة، لم يستطع استكمال دراسته الجامعية؛ لأن أسرته لم تكن لتستطيع أن تنفق عليه في الجامعة، لهذا اكتفى في البداية بالحصول على دبلوم المدارس الثانوية الصناعية قسم اللاسلكي عام ١٩٦٠م.

مسيرته الأكاديمية:

حصل نصر على الليسانس من قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٢م بتقدير ممتاز، ثم ماجستير من نفس القسم والكلية في الدراسات الإسلامية عام ١٩٧٦م وأيضًا بتقدير ممتاز، ثم دكتوراه من نفس القسم والكلية في الدراسات الإسلامية عام ١٩٧٩م بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى. عمل في النهاية أستاذًا بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٩٥م. حصل على جائزة عبد العزيز الأهواني للعلوم الإنسانية من جامعة القاهرة عام ١٩٨٢م، عمل أستاذًا زائر بجامعة أوساكا للغات الأجنبية باليابان عام ١٩٨٥ ـ ١٩٨٩م، حصل على وسام الاستحقاق الثقافي من رئيس جمهورية تونس عام ١٩٩٣م عمل أستاذًا زائرًا بجامعة ليون بهولندا بدءًا من أكتوبر عام ١٩٩٥م، حصل على جائزة اتحاد الكتاب الأردني لحقوق الإنسان عام ١٩٩٦م، ميدالية «حرية العبادة» مؤسسة اليانور وتيودور روزفلت ٢٠٠٢م، ثم كرسي ابن رشد لدراسة الإسلام والإنسانيات، جامعة الدراسات الإنسانية في أوترخت، هولندا ٢٠٠٢م.

فكره:

طالب أبو زيد في كتاباته وأبحاثه بالتحرر من سلطة النصوص وأولها القرآن الكريم الذي قال عنه «القرآن هو النص الأول والمركزي في الثقافة، لقد صار القرآن هو نص بألف ولام العهد، وقال أيضًا: هو النص المهيمن والمسيطر في الثقافة» وقال: فالنص نفسه ـ القرآن ـ يؤسس دينًا وتراثًا في الوقت نفسه، وقال مطالبًا بالتحرر من هيمنة القرآن: «وقد آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر لا من سلطة النصوص وحدها، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا، علينا أن نقوم بهذا الآن وفورًا قبل أن يجرفنا الطوفان».

أثارت كتابات الباحث المصري كما سبق أن قلت، ضجة إعلامية في منتصف التسعينيات من القرن الماضي، فقد اتهم بسبب أبحاثه العلمية بالارتداد والإلحاد، ونظرًا لعدم توافر وسائل

قانونية في مصر للمقاضاة بتهمة الارتداد، عمل خصوم نصر حامد أبو زيد على الاستفادة من أوضاع محكمة الأحوال الشخصية، التي يطبق فيها فقه الإمام أبي حنيفة، والذي وجدوا فيه مبدأ يسمي «الحسبة» طالبوا على أساسه من المحكمة التفريق بين (أبو زيد) وزوجته. واستجابت المحكمة، وحكمت بالتفريق بين نصر حامد أبو زيد وزوجته قسرًا، علي أساس «أنه لا يجوزللمرأة المسلمة الزواج من غير المسلم «فحياة الزوجين باتت بعد ذلك في خطر، وفي نهاية المطاف غادر نصر حامد أبو زيد وزوجته د. ابتهال يونس الأستاذة في الأدب الفرنسي القاهرة نحو المنفى إلى هولندا ليقيما هناك، حيث عمل نصر حامد أبو زيد أستاذًا للدراسات الإسلامية بجامعة لايدن.

من أهم أعماله:

- الاتجاه العقلي في التفسير (دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة).
- فلسفة التأويل (دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين ابن عربي).
- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن.
- إشكاليات القراءة وآليات التأويل.
- نقد الخطاب الديني.
- المرأة في خطاب الأزمة.
- الخلافة وسلطة الأمة.
- النص والسلطة والحقيقة.
- دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة.
- التفكير في زمن التكفير.
- هكذا تكلم ابن عربي.
- الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية

عاد إلى مصر قبل أسبوعين من وفاته بعد إصابته بفيروس غريب، فشل الأطباء في تحديد طريقة علاجه، ودخل في غيبوبة استمرت عدة أيام حتى فارق الحياة صباح الإثنين ٥ يوليو ٢٠١٠م.

٧ ـ نوال السعداوي:

ـ وُلدت نوال السعداوي في ٢٧ أكتوبر ١٩٣٠م، طبيبة، ناقدة وكاتبة وروائية مصرية ومدافعة عن حقوق الإنسان وحقوق المرأة بشكل خاص. وُلدت في مدينة القاهرة، وتخرجت من كلية الطب جامعة القاهرة في ديسمبر ١٩٥٤م، وحصلت على بكالوريوس الطب والجراحة وتخصصت في مجال الأمراض الصدرية.

وفي عام ١٩٥٥م عملت كطبيبة امتياز بالقصر العيني، ثم فصلت بسبب آرائها وكتاباتها، وذلك ب ٦ قرارات من وزارة الصحة، متزوجة من الدكتور شريف حتاته، وهو طبيب وروائي ماركسي، اعتقل في عهد الرئيس عبد الناصر.

من آرائها:

ـ يجب أن يتغير مفهوم الإسلام وتتغير معه عادات المسلمين.

ـ حجاب المرأة نشأ في العصر العبودي، وتحجب المرأة موروث تقليدي قديم مأخوذ من اليهودية، ولا علاقة بين الحجاب والإسلام.

ـ من آرائها أيضًا: «لماذا يكون الرجال قوامون على النساء؟ هل يعقل أن يكون رجل جاهل مثلًا قوامًا على زوجة تحمل شهادة الدكتوراه؟

وفي حالة أن المرأة هي التي تنفق على الزوج ما معنى القوامة؟

ـ انتقدت نظم الميراث الإسلامي، وأنه قد ظلم المرأة كثيرًا، ومن حق النساء أن تطالب بتغييره، وذكرت أن تونس غيرت نظام الميراث، ومصر يجب أن تغير نظامها لأنه ظلم المرأة كثيرًا.

ـ نادت كثيرًا بمحاربة تعدد الزوجات بكل الوسائل اللازمة؛ لأن التعدد فيها ضياع وتشرد للأسرة والأبناء.

أعمالها:

صدر لها أربعون كتابًا أُعيد نشرها، وترجمة كتاباتها لأكثر من خمسة وثلاثين لغة، وتدور الفكرة الأساسية لكتابات نوال السعداوي حول الربط بين تحرير المرأة والإنسان من ناحية وتحرير الوطن من ناحية أخرى في نواحي ثقافية واجتماعية وسياسية، ومن أهم كتابتها: المرأة

والجنس، أوراق حياتي، قضايا المرأة المصرية السياسية والجنسية، معركة جديدة في قضية المرأة، المرأة والدين والأخلاق، دراسات عن الرجل والمرأة، الأنثى هي الأصل، الرجل والجنس، المرأة والصراع النفسي، توأم السلطة والجنس، وغيرها. تعرضت نوال السعداوي في ١٩٨١م في فترة الرئيس السادات للسجن، كما تعرضت للنفي نتيجة لآرائها ومؤلفاتها، وتم رفع قضايا ضدها من قبل إسلاميين مثل قضية الحسبة للتفريق بينها وبين زوجها. وتمَّ توجيه تهمة «ازدراء الأديان» لها، كما وضع اسمها على ما وصفت بـ «قائمة الموت للجماعات الإسلامية» حيث هددت بالموت، كما رفضت محكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة في مصر في ١٢ مايو ٢٠٠٨م إسقاط الجنسية المصرية عن المفكرة المصرية نوال السعداوي في دعوى رفعها ضدها أحد المحاميين بسبب آرائها المدافعة عن حقوق المرأة.

أسست جمعية تضامن المرأة العربية عام ١٩٨٢م، وهي جمعية تهتم بشئون المرأة في العالم العربي.

* * *

صدر للمؤلف:

١ ـ العلاج الطبيعى والطب البديل النشأة والتطور (عام ٢٠٠٨م).

٢ ـ العلاج بالغذاء والعودة إلى الطبيعة (عام ٢٠٠٩م).

٣ ـ الإبر الصينية الفلسفة والعلاج (عام ٢٠١٠م).

٤ ـ التوازن البديل فى إنقاص الوزن والتجميل (عام ٢٠١٠م).

٥ ـ الطاقة الحيوية والشفاء الذاتى (عام ٢٠١٢).

٦ ـ المنهج الحصرى فى حقوق الإنسان المصرى (عام ٢٠١٣).